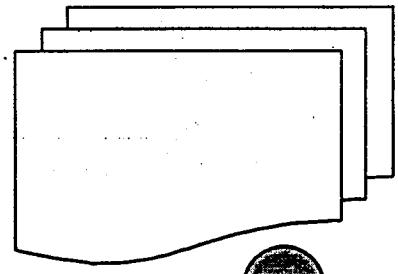

تسكين آخر المعرب حال الوصل في العامية وجذوره في بالفصحى

دراسة لغوية

إعداد

الدكتورة/إيمان أحمد إسماعيل حمودة

المدرس بقسم اللغويات

لجنة التحكيم

أ.د/ عبد النعيم علي محمد	عضو اللجنة العلمية الدائمة
أ.د/فتحي علي حسانين	عضو اللجنة العلمية المحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ولى النعمة ، دافع النقمة .. ما غادر طائر بنغمة .. وهب صبح نسمة .. وأمس المساء بفكرة .. وأصبح الصبح بثمرة .. والصلاة والسلام على من زين ببيانه الكلام .. وأذهل بفصاحته الأنام .. وعلى آله والأصحاب .. ما لمع سراب ، وسمع سحاب ، وقرئ كتاب .. وبعد ... ،

فلا تزال اللغة الفصحى بحراً زاخراً من اللهجات الفصيحة ، يحتاج من يرغب فى الحصول على لآلئها ودررها أن يغوص فى أعماقها لمعرفة روائعها وأسرارها ، علماً بأن لغة الأمة عنوان على حضارتها ، وثقافتها ، وتقدمها ومن ثمّ تُعنى الأمم كلها بتطوير لغتها ، وتعمل على ترقيتها ، فنرى الهمم تتجه نحو إصلاح اللغة والنهوض بها ونحن نخوض فى البحث عن لغة غير العربية لتساير مقتضيات العصر فى مجالات العلم والفن والثقافة والصناعة ... الخ وترشح العامية لهذا المهمة وكأنها لغة عربية عن الفصحى ولذلك ثارت عليها ثورة عارمة تطالب بإبادتها حتى أنه اتهم كل من يستخدمها بالخيانة للغته الفصيحة . وهذا كلام المحافظين المهيمن عليهم سلطان الفصحى ولم يقتنع به عقلى الذى يميل إلى التجديد والتطور لمواكبة عصر العولمة والتقدم التكنولوجى الهائل بمفرداته الجديدة على الفصحى لذا أرى أن من أكبر مظاهر حيوية اللغة أن تتغير وتتطور وفق مقتضيات العصور ، فلا يصح أن تظل لغة قرن مضى لغة للقرن الحالى والمعاصر ولكن يبدو أن تطور الفصحى لم يمض إلى الغاية المرجوة بل تخلف إلى الوراء ، وما زالت لغة القرون الماضية هى المسيطرة على العصر الحديث ، ومن أكبر مظاهر حيوية اللغة أيضاً أن تكون لغة كلام وتخاطب وإنصافاً للحق قد كانت العربية كذلك حقبة من الزمن ، فلما اتسعت رقعة الدول الإسلامية شملت ألواناً مختلفة من الأمم الأعجمية ، فنشأت فى كل قطر لهجة عامية خاصة به بجوار الفصحى ، كالمصرية ، والسعودية ، والعراقية ، والشامية ، والخليجية، والمغربية .[1]

حتى أصبح للفرد الواحد فى المجتمع الواحد لغتين متباينتين أحدهما اللغة الفصحى وهى (اللغة الأم) – أداة محكمة غنية بتراثها توطد الصلات بين الأمم والشعوب العربية ، وهى الوعاء الذى

(١) ينظر : مشكلات اللغة العربية ص٤–٥ .

يحوى كل اللهجات العامية العربية . أما اللغة الثانية الوليدة هى التى تسمى اللهجة المحلية ، أو الدارجة ، أو المحكية أو العامية المعاصرة وقد تمكنت هذه اللهجة من ألسنة الناس فى جميع طبقات المجتمع العليا والدنيا ، وهيئاته ومؤسساته السياسية ، والعلمية والثقافية والإعلامية المسموعة والمقروءة .. وبمناسبة الحديث عن العامية أذكر يوماً وأنا فى نهاية المرحلة الثانوية وبداية المرحلة الجامعية اشتريت كتاباً لأحد الكتاب المصريين وكان عنوانه (الطريق إلى زمش) ولما شرعت فى قراءة الكتاب فوجئت أنه مكتوب باللهجة العامية ولم أكن اعتدت القراءة بها حيث إننى نشأت فى بيئة أزهرية تميل إلى القراءة بالفصحى لأنها كانت مرتبطة ارتباطاً شديداً بدراستى للقرآن الكريم ، وعلى الرغم من الصعوبة التى وجدتها عند قراءتى لهذا الكتاب إلا أنه من الملاحظ أننى انتهيت من قراءته فى وقت قصير جدا . فتساءلت ما السر الذى يدفع الكتّاب إلى الكتابة بالعامية بدلاً من الفصحى ؛ وبعد أن كانت لغة مشافهة وتخاطب ، صارت لغة كتابة أيضاً وهل المنادون بإحلال العامية محل الفصحى قد نجحوا فى ذلك بالفعل ؟

وإنصافاً للحق فإن للعامية أنصار وخصوم – ورأيت أن أنصار العامية يكتبون بالفصحى، وخصوم العامية يتكلمون بها ومن ثمّ فالعامية لم يضرها الانتصار لها ولم يضرها التعى عليها[1] ، بل زادها قوة وتمكناً من ألسنة الناس وأقلام الأدباء والكتاب.

والجدير بالذكر أن من أهم الفروق بين الفصحى والعامية ظاهرة الإعراب فهو سمة أساسية وأهم خصائص اللغة الفصحى يقول العقاد فى أهميته : إن الإعراب أيسر فى الفهم من إهماله ؛ لأن الحركة فيه تدل على معنى الكلمة خلافاً للكلمات المتشابهة فى الحركات وخذ لذلك مثلاً قول من يقول : كان حسن يكلم محمداً ومحموداً ، وعلىّ يصغى إليهما مكترثاً حيناً ، وحيناً غير مكترث فأيهما أيسر فى فهمهما أن تكتب هكذا ، أو تكتب بغير حركات الإعراب .[2]

ولأهميته قام عليه علم من علوم اللغة وهو علم النحو ، ألفت فيه المؤلفات وقامت عليه التعديلات ، والافتراضات ، والتخريجات ... الخ وفى ميدانه صال وجال علماء أجلاء يُشار إليهم بالبنان ، وصارت حركات الإعراب ، علامات مقدسة يجول فى رحابها علماء النحو واللغة يتصدون لكل من يحاول المساس بها ، والغرض من ذلك هدف أسمى هو المحافظة على القرآن الكريم ثم تأتى

(١) ينظر : مشكلات العربية ص١٥٨ .

(٢) ينظر : مجلة الكتاب السنة السابعة ص٥٣٨ .

العامية لتتخلى عن (الإعراب) الذى يُعد معلم من معالم الفصحى وتستعيض عنه بالقوالب الأسلوبية والتعبيرية . ويصبح السكون فى العامية علامة على الوصل بدلاً من الإعراب فى الفصحى، إذ هو أقوى القرائن الدالة على المعنى ؛ لأن الوصل تجرى فيه الأشياء على أصولها ، فتأخذ أواخر الكلمات معه حظها من الإتمام والكمال – حيث إن الناس قد اعتادت أن تنظر إلى نهايات الأمور ، وإلى أواخر الكلمات لا إلى بدايتها فمن ثمّ يكون الإعراب موضع نظرهم ، فيوضح المعنى ويبين موقع الكلمة من الجملة ، ويميز عملها ، وقد تساءل ابن جنى لم جرت الأشياء فى الوصل على حقائقها دون الوقف والذى هو من أشهر علاماته السكون ؟ قيل : لأن حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة ، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة وإنما من الجمل ومدارج القول ، فلذلك كان حال الوصل عندهم أشرف وأقوم وأعدل من حال الوقف .[1]

وتساءلت بدوري هل تنازل العامية عن الإعراب والذى بعد سمة من سماتها له جذور فى الفصحى؟ تربطه بها ويقوّى مكانته فى عاميتنا أو أن السبب فى ترك الإعراب يرجع إلى عدم تمكن الناس من قواعده وأحكامه من ثمّ فضل مستخدموا العامية أن يثروا مبدأ السلامة وهو (سكن تسلم) وأصبح بذلك السكون سمة العامية حال الوصل والوقف لذلك أشار علىّ أستاذى الجليل أ.د/ حامد نيل أن أبحث فى تلك الظاهرة للوصول إلى حقيقتها وقد اقتضت طبيعة البحث الذى عنوانه (تسكين آخر المعرب حال الوصل فى العامية وجذوره فى الفصحى– دراسة لغوية) أن يشتمل على ما يلى :

مقدمة : ذكرت فيها أسباب اختيارى للموضوع .

التمهيد : تحدثت فيه عن نشأة النحو العربى ومراحل تطوره .

المبحث الأول : تحدثت فيه عن اللهجات العربية ودورها فى التأصيل النحوى .

المبحث الثانى : أثبت فيه أن تسكين العامية له جذور فى الفصحى .

المبحث الثالث : أثر القراءات فى تقعيد النحو وتحديثه من خلال دور المجمع اللغوى .

❁❁❁

(١) ينظر : الخصائص ٢/٣٣١ .

نشأة النحو العربى ومراحل تطوره

١- النحو حقيقته ومعناه.

٢- الإعراب حقيقته ومعناه.

٣- العلاقة بين النحو، والإعراب، واللغة.

٤- سبب نشأة علم النحو.

٥- أهمية علم النحو.

٦- مراحل التطور النحوى.

٧- إعراب القرآن بين المشككين والمثبتين.

النحو حقيقته معناه :

ورد للنحو عدة معان جمعها الإمام الداودى فى بيتين فقال [١]:

للنحو سبعُ معانٍ قد أتَتْ لَغةً ... جَمَعْتُها ضِمْنَ بَيْتٍ مُفْرِدٍ كَمُلا

قصدٌ، ومثلٌ، ومِقْدارٌ، وناحيةً ... نَوْعٌ، وبَعْضٌ، وحَرْفٌ، فاحْفَظِ المِثَلاَ

أما معناه فى اللغة يعنى القصد والطريق، يقال نحوت نحو فلان: إذا قصدت قصده [٢].

أما فى الاصطلاح: هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتصغير، والتكبير، والإضافة والنسب، وهو فى الأصل مصدر شائع أى نحوت نحوا كقولك: قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم [٣].

وقيل: هو علم يعرف به كيفية التركيب العربى صحة وسقاماً، وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه [٤].

وسمى النحوى نحوياً؛لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب [٥].

واختلف الباحثون فى أصل كلمة (نحو) فيرى كثير منهم أنها عربية، ويرى بعضهم أنها يونانية وتسمى باليونانية (غرماطيقى) [٦] وأن كلمة (لغة) [٧] يونانية، دخلت إلى العربية عن كلمة (Logos) (لوغوس) وتعنى (اللسان) ومعناها الأصلى (كلمة) و (كلام).[٨]

وفى القرآن الكريم قامت كلمة (اللسان) بدلا من كلمة اللغة قال تعالى وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ [١].وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [٢]. أما كلمة (نحو) فلم ترد فى القرآن

---

(١) ينظر: حاشية الخضرى ١/١٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة مادة (ن ح ١).

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (ن ح ١) – الخصائص ١/٣٤.

(٤) تنظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ١/٢٣ – اللباب ١/٥٢.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة مادة (ن ح ١).

(٦) ينظر: مفاتيح العلوم ١/٢٩.

(٧) اللغة على وزن فعلة من لغا يلغو إذا تكلم ومنه الحديث " من قال فى الجمعة صه فقد لغا"، أو من لغا يلغى إذا لهج فالأولى من باب فعل يَفعُل مثل دعا يدعو، والثانية من باب فعل يَفْعَل مثل سعى يسعى وقيل من لغى يلغى إذا هذى من باب رضى يرضى ومصدره اللغا وهو الهذيان. ويقال لغا عن الصواب : قال عنه ؟ واللغو بمعنى الغلط.

وأصل اللغة : لغى أو لغو فقلت حركة الواو إلى الساكي الصحيح قبلها ثم حذفت الواو وعوض عنها بالهاء فصارت على وزن (فعة) لغة تجمع على لغات ولُغُون ولُغى ومعناها فى عرف الاصطلاحيين أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. ينظر المعاجم لسان العرب – تاج العروس – أساس البلاغة – مقاييس اللغة – مختار الصحاح مادة (ل غ و) – الخصائص ١/٣٣.

(٨) ينظر: اللسان والإنسان صـ١٣٢.

الكريم؛ لأن الكلمة لم تنتقل إلى معناها الاصطلاحى إلا بعد قيام (علم النحو) فى وقت متأخر جدا بعد نزول الوحى ومن ثمّ يكون (النحو) اسم لهذا الجنس من العلم.

❁ الإعراب حقيقته ومعناه:-

الإعراب هو أحد الاصطلاحات التى كانت شائعة فى القرن الأول الهجرى: قال عمر بن الخطاب : « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه » [٣] وقال أيضا: « وليُعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب » [٤] والمقصود بالإعراب فى قول عمر ما يتعلق بمخارج الحروف وإعرابه حال القراءة، ولمعرفة حقيقة الإعراب لابد أن نعرف معناه عند اللغويين، والنحاة:

❁ الإعراب فى اللغة، على عدة معان نوجزها فيما يلى:

١- الإفصاح والإبانة، يقال: أعرب فلان عما فى ضميره أبان وأفصح وأعرب الكلام أى لم يلحن فى إعرابه، وأعرب الفرس اتخذه عربيا [٥]. ومنه قوله ﷺ: « الثيب تعرب عن نفسها » [٦] أى تفصح.

وتعرَّبت المرأة لزوجها إذا أفصحت له عن حبها بالتودد إليه [٧].

- والمرأة العروب هى الضحاكة الطيبة النفس [٨]، و (العروبة) معرفة ونكرة اسم ليوم الجمعة اختاره جد النبى (ﷺ) قبل الإسلام، وذلك لأهمية هذا اليوم على باقى أيام الأسبوع بالنسبة للمسلمين، ولما فيه من التجمع والتأهب والتعبد والفرحة يقال فى ذلك:

يا حسنه عند العزيز إذا بدا يومُ العروبةِ واستقر المثير [٩]

٢- الفساد والتقيُّح: يقال عرب الجُرح عربا بقى له أثر بعد البدء، وعربت المعدة إذا فسدت، وعرب الفرس إذا شط [١٠].

ويقال أعربت الغلام أى أزلت عَرَبه وفساده وذلك كأعجمت الكتاب أى أزلت عجمته وإبهامه فالهمزة للسلب [١١].

---

(١) النحل من الآية (١٠٣).
(٢) إبراهيم من الآية (٤).
(٣) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٣٥/١.
(٤) ينظر: التحفة البهية صـ ٤٩.
(٥) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف مادة (ع ر ب) ٢٣٢/١.
(٦) الحديث بلفظه فى مسند أحمد ١٩٢/٤ - سنن ابن ماجة (١١) باب استئمار البكر الثيب ٦٠٢/١.
(٧) ينظر: أساس البلاغة ٤١٣/١ - لسان العرب مادة (ع ر ب).
(٨) ينظر: معجم العين مادة (ع ر ب) ١٢٨/٢.
(٩) مقاييس اللغة مادة (ع ر ب) ٣٠١/٤.
(١٠) ينظر: الأفعال ٣٥٢/٢.
(١١) ينظر: أسرار العربية صـ ٩ للأنبارى - ط ليدن ١٩٨٦م.

– التعريب: تهذيب المنطق من اللّحن، ويقال عَرَّبتُ له الكلام تعريباً وأعربت له إعراباً، إذا بينته له حتى لا يكون فيه خضرمة.

والتعريب والإعراب معناهما واحد وهو الإبانة والإفصاح، ويقال معناهما هو الرد عن القبيح، والتعريب أن تتعلم العربية، وأن تتخذ فرسا عربيا [1].

هذه هى المعانى اللغوية التى وجدتها فيما تيسر لى من المعاجم وكلها تصب فى معنى الإفصاح والإبانة وإزالة الإبهام والفساد واللحن.

أما فى اصطلاح النحاة فقد مرَّ الإعراب بمراحل عديدة وأول من تحدث عنه دون وضع مصطلح قياسى له إمام النحاة سيبويه حيث قال: « هذا مجارى أواخر الكلم من العربية، وهى تجرى على ثمانية مجارٍ، على النصب، والجر، والرفع، والجزم، والفتح، والضم، والكسر، والوقف، وهذه المجارى الثمانية يجمعهنّ فى اللفظ أربعة أضرب، فالنصب، والفتح، فى اللفظ ضربٌ واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع، والضم، والجزم، والوقف، وإنما ذكرتُ لك ثمانية مجارٍ لأُفرِقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحدثُ فيه العاملُ، وليس شئٌ منها إلا وهو يزولُ عنه، وبينَ ما يُبْنَى عليه الحرف بناءٌ لا يزول لغير شئ أحدث ذلك فيه من العوامل التى لكل عامل منها ضربٌ من اللفظ فى الحرف وذلك الحرفُ حرف الإعراب » [2].

والإعراب عند المتأخرين على وجهين: أحدهما معنوى، والآخر لفظى.

الوجه الأول:– كونه معنويا والحركات دلائل عليه، هذا ظاهر مذهب سيبويه واختاره الأعلم وغيره [3] وزاد بعضهم بأن المراد بكونه معنويا أنه عبارة عن الاختلاف والجملة فى صحة ذلك من وجهين:

أحدهما:– أن الحركة مضافة إلى الإعراب، ولا يضاف الشئ لنفسه.

الآخر:– أن الحركات قد تكون فى المبنى أيضا، فلا تكون إعرابا [4].

لذا قال ابن جنى: إن الإعراب ضد البناء فى المعنى ومثله فى اللفظ والفرق بينهما زوال الإعراب لتغير العامل وانتقاله ولزوم البناء الحادث من غير عامل وبناته [5].

الوجه الثانى:– كونه لفظيا أى أن الإعراب هو الحركات، وهذا رأى سديد لوجهين:–

أحدهما:– أن الاختلاف لا يكون إلا بعد التعدد، فلو جعل الاختلاف إعراباً لكانت الكلمة فى أول أحوالها مبنية لعدم الاختلاف.

---

(١) تاج العروس مادة (ع ر ب).

(٢) الكتاب ١/١٣.

(٣) ينظر: حاشية الصبان ١/٤٢ – المكتبة الكبرى.

(٤) ينظر: الأشباه والنظائر للسيوطى ١/٧٢ – ٧٣ – ط/ حيدر آباد.

(٥) ينظر: اللمع صـ ٥٠.

الثانى:- يقال: إن أنواع الإعراب رفع، ونصب، وجر، وجزم، ونوع الجنس يستلزم الجنس.
والجواب عن الإضافة أنها من باب إضافة الأعم إلى الأخص نحو كل الدنانير.
أما عن الوجه الثانى: إن وجود الحركات فى المبنى دليل على أنها للإعراب لأن الحركة إن حدثت بعامل فهى للإعراب، وإلا فهى للبناء ولذلك خصصها البصريون بألقاب غير ألقاب الإعراب [1].

واختار ابن مالك هذا الوجه معرفاً بأنه ما جئ به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف [2]. ووافقه ابن هشام فى شذوره قائلا: « الإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل فى آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع » [3].

ثم صار تعريفه عند المحدثين والمعاصرين يدور حول تغيير العلامة التى فى آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه. ولأهمية قضية الإعراب، ولمعرفة حقيقته انشغل النحويون به، فأفردوا له كتباً خاصة به فهذا هو الخليل يقول فى جمله : " هذا كتاب فيه جملة الإعراب، إذ كان جميع النحو فى الرفع والنصب والجر والجزم " [4].

وقد قامت كثير من المؤلفات النحوية فى تقسيم منهجها على مباحث المبنيات والمعربات، بل زاد بعضهم فى التخصيص فقسم المنهج على حسب المعانى ما بين مرفوعات ومنصوبات، ومجررات وذلك منذ القرن السابع الهجرى تقريبا ودليل على ذلك ما نجده من كتب الرضى، وابن هشام، والسيوطى وغيرهم.

اصطلاحات أخرى:-

لم يتفق العرب الأوائل ولا النحاة القدامى على تسمية هذا العلم بالنحو، بل كانوا يعبرون عنه اصطلاحات أخرى منها:

١- العربية قال عمر بن الخطاب " تعلموا العربية فإنها تشيب العقل، وتزيد فى المروءة " [5].
وقيل[6]: إن أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود فتأسيس العربية هنا المقصود به علم النحو.

٢- الكلام يدل على هذا الاصطلاح قول أبى الأسود عندما سمع اللحن فى كلام الموالى " هؤلاء الموالى قد رغبوا فى الإسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا أخوة فلو علمناهم الكلام " [7].

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر ١/٧٢ - ٧٣.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ١/٣٣.

(٣) شذور الذهب صـ ٣٣.

(٤) منقول من (فى اصلاح النحو صـ ٧).

(٥) ينظر: طبقات النحويين واللغويين صـ ١٣.

(٦) ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٢ - الشعر والشعراء ٢/٧٣٣.

(٧) ينظر: أخبار النحويين البصريين صـ ١٨.

فالمقصود ليس الكلام وإنما أسلوب العربية ونحوها.

٣- اللحن: قال عمر بن الخطاب " تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القـــرآن" (١)، قال الأنبارى: وحدث يزيد هارون بهذا الحديث فيقل له: ما اللحن ؟ فقال: النحو (٢).

وقال ابن الأثير " يريد تعلموا لغة العرب، بإعرابها " (٣).

واللحن: لفظ قديم وجد فى موروثات العرب بمعنى مال، يقال: لَحَنَ إلى فلان، مال إليـــه ومن ثَمَّ فمشتقات تلك المادة تدل على الميل، والتحول عن الهيئة المألوفة، ولَحَنَ بفتح الحاء جمعه ألحان ولحون(٤).

ولحن بكسر الحاء فعل بمعنى: فطِنَ، ومصدره اللحَن بفتح الحاء(٥). كما فى بيت الشاعر:

غَمَسْتُ عنهم وما ظنى مخافتـــهم وسوف يعرفهم ذو اللُّب واللَّحَـــنِ (٦)

ولَحِنَ على وزن فَطِنَ أى سريع الميل والالتفات.

وروى أيضا أن اللحْن بسكون الحاء مصدر لحَن بفتحها، وورد بمعنى الإصابة والفطنة (٧).

وأفعل التفضيل: ألحن قال رسول الله ﷺ « إنما أنا بشر مثلكم، وإنكم تختصمون إلى، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشئ مـــن حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من النار » (٨).

---

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين صـــ ١٣.

(٢) الاضداد صـــ ٢٤٠ – إيضاح الوقت والابتداء ١٥/١.

(٣) النهاية فى غريب الحديث ٥٦/١.

(٤) ينظر: لسان العرب مادة (ل ح ن) ٤٧٩/١٣.

(٥) ينظر: لسان العرب مادة (ل ح ن) الأفعال المتعدية بحرف ٣٢٥/١.

(٦) ينظر: أدب الكاتب صـــ ١٣٢ والبيت لقعنب بن أم صاحب.

(٧) ينظر : الأمالى للقالى ٥/١.

(٨) ينظر : صحيح البخارى ٩٥٢/٢- ح٢٥٣٤ – كتاب الشهادات – باب من أقام البينة بعد الـــيمين وقـــال النبى ﷺ " لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ". صحيح مسلم ١٣٣٧/٣ – ح ١٧١٣ – كتاب الأقضية – باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة شرح الموطأ كتاب الأقضية ١٧٩/٣.

اللحن بمعنى الغناء: يقال لحن الطير إذا غرد يقول الشاعر:

تَغَنَّـــت عليـــه بلحـــنٍ لهـــا يُهَيِّج للصبِّ مـــا قـــد مـــضى [1]

ويقول آخر فى حمامتين:

تجاوبتـــا بلحـــن أعجمـــى على غصنين من غـــرب وبـــان [2]

ويقال: لحن فى قراءته إذا غرد وطرب فيها بألحان [3] وفى الحـــديث الـــشريف « اقـــرءوا القرآن بلحون العرب » [4].

ويقال: لَحَّن بالتشديد أى رتَّـــل بالنغم القرآن حيث نهى المحافظون عن ذلـــك [5] واللحـــن واللحانة واللحانية ترك الصواب فى القراءة والنشيد[6].

أما التلحين فجمعه (تلاحين) أى طريقة الغناء، أو النغمة الموسيقية [7].

واللحن بمعنى التورية والتعمية، فيقال: لاَحَن المرادف لـــ (فَاطَن) أى أظهـــر لـــه ذكـــاءه وفطنته، بتعاطى التورية والإلغاز يقال: فلان يلاحن الناس أى يفاطنهم ويغالطهم بفطنته ودهائه [8].

اللحن بمعنى القصد والنية كما فى قوله تعالى "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ"[9] أى قصد ونية قولهم(١٠).

---

(١) ينظر الحيوان للجاحظ ٦١/٣.

(٢) ينظر أمالى القالى ٢٨٢/١ – خزانة الأدب ٤٨٤/٤.

(٣) ينظر لسان العرب مادة (ل ح ن).

(٤) ينظر : المعجم الأوسط للطبرانى ١٨٣/٧– ح٧٢٢٣ – شعب الإيمان للبيهقى ٥٤٠/٢ – ح٢٦٤٩

(٥) ينظر: مسند الدرامى /: فضائل القرآن.

(٦) ينظر: لسان العرب مادة (ل ح ن).

(٧) ينظر عيون الأخبار ١٠٩/٣.

(٨) ينظر: أساس البلاغة مادة (ل ح ن) ٢٢٢/٢ – المعجم الوسيط ٨١٩/٢.

(٩) محمد من الآية (٣٠).

(١٠) ينظر: الأفعال مادة (ل ح ن) ١٢٢/٣.

- اللحن بمعنى (اللغة) بلغة بنى كلاب [1]، هذا ما رآه الأصمعى أن لفظ (لحـــن) مـــرادف للفظ لغة [2] ومعنى لحن، نطق بلغته الخاصة [3].

وبهذا فسر قولان نسبا لعمر بن الخطاب ﷺ وهما: (تعلموا اللحن فى القرآن) [4]، (تعلموا الفرائض والسنن واللحن) [5].

ثم اشتهر لفظ اللحن فى الأزمنة الأخيرة بالمعنين: الخطأ اللغوى يقال لحن فى كلامه إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ [6] واللاحن واللحان هو من أخطأ الإعراب وخالف وجه الـــصواب فى النحو [7].

والمعنى الآخر: الغناء، والموسيقى.

العلاقة بين اللغة والنحو والإعراب:-

إن (اللغة) كما حدَّها ابن جنى بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضـــهم " [8] ومـــا دامت أصواتا فاعلم أن لكل عالم من المخلوقات الحية لغته الخاصة به.

وحدَّها الجرجانى بأنها " ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " [9] فهذا التعريف أعـــم مـــن تعريف ابن جنى، لأنه عبر بـــ (ما) وهى هنا تحمل معنى الإطلاق لكل ما يمكن التعبير به للدلالـــة

---

(١) ينظر: تاج العروس مادة (ل ح ن) ٣٣١/٩.

(٢) ينظر: أمالى القالى ٥/١.

(٣) ينظر: أمالى القالى ٦/١ – الملاحن صـــ ٧.

(٤) ينظر: النهاية لابن الأثير ٥٦/٤.

(٥) ينظر: لالنهاية لابن الأثير ٥٦/٤ مادة (ل ح ن) – أمالى القالى ٥/١.

(٦) ينظر: الأفعال المتعدية بحرف ٣٢٥/١ (ل ح ن).

(٧) ينظر: أساس البلاغة، والمعجم الوسيط مادة (ل ح ن) – الروض الأنف ٣/ ٤٢٣.

(٨) الخصائص ٣٣/١.

(٩) التعريفات ص ٢٠٢

على المعانى، من إشارة أو خط، أو إيماءه دالة على معنى معين [1] ومن ثم يتبين أن اللغة قديمة قدم الإنسان قال ﷻ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا [2].

وتعد اللغة العربية واحدة من اللغات التى انفصلت عن اللغة السامية الأم – وإن كان هناك رأى يقول أن اللغة الأم هى اللغة العربية[3] – وأخذت طريقها إلى النمو والتطور، حتى أصبحت اللغة تعنى اسم الجنس للكلام المنطوق أو المكتوب، وأن (النحو) يعنى العلم الذى يحكم ذلك الكلام يضبطه بقوانين وأحكام خاصة.

فكلاهما لا يستغنى عن الآخر.

وكلمة (لغة) من (لغا) إذا تكلم [4]، ونحو من (نحا) نحوه إذا قصده، فالنحو القصد والطريق[5].

واعلم أن النحو يسمى إعراباً والإعراب يسمى نحواً سماعا حيث إن الغرض طلب علم واحد، أما اللغة العربية فهى لغة العرب والتى نزل بها القرآن، وهى لغة قوم يتكلمون بها والإعراب هو الحركات المبينة لمعانى اللغة [6] وعن الفرق بينهما. قال ابن جنى: " التصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة " [7].

❁❁❁

❁ سبب نشأة علم النحو :

وبعد أن وقفنا على معنى (اللحن) لابد أن تعرف أنه السبب الجوهرى لوضع قواعد الإعراب،

---

(١) البيان والتبيين ٧٦/١.

(٢) البقرة من الآية (٣١).

(٣) ينظر: ظاهرة الإعراب صـ ٦٤.

(٤) تهذيب اللغة مادة (ل غ ا) ١٩٨/٨.

(٥) المصدر السابق مادة (ن ح ا).

(٦) الإيضاح للزجاجى صـ ٩١ – الخصائص ٣٥/١.

(٧) المنصف ٤/١.

وإذا اعتبرنا أن التطور نوعان: إما تطور إيجابى، وإما تطور سلبى أما التطور الإيجابى فقد بيناه فيما سبق، ولا مانع لدى أن أعتبر اللحن الإعرابى هو التطور السلبى، بيد أنه لم يطرأ على الإعراب فى حد ذاته بقواعده وقوانينه وتراكيبه، بل طرأ على مستخدمى اللغة ليبين لنا مدى تمسكهم بهـا، ورغبتهم الحقيقية فى المحافظة عليه.

يدلك على ذلك ما ورد فى كتب اللغة والنحو والأدب حيث تمتلىء جميعها بأنباء اللحن عبر العصور.

فبعد وفاة النبى (ﷺ) عن طريق الغزوات فى العهد الإسلامى الأول انتقلـت العربيـة إلى خارج حدود شبه الجزيرة حيث بلاد العجم، والألسن التى لا تجيد التحدث بها، فكان من الصعب على اللسان الأعجمى أن يتبع القواعد النحوية للجمل العربية مما اضطره إلى العزوف عنها ليحـل محلها قوالب أخرى من الأساليب التعبيرية التى تعرف بالقرينة المعنوية والتى تقـوم علـى إعمـال العقل[1].

والحق أحق أن يتبع فقد كان للحن أكابر علماء[2] النحو واللغة الأثر البالغ فى نمو وارتقاء وبناء هذا العلم، فهذا سيبويه أخطأ فى حضرة شيخه حماد بن سلمة البصرى [3] فأنبهه فقال سيبويه: " سأطلب علماً لا تلحننى فيه " [4].

وذاك الكسائى الذى يقول: قد عَييت – بمعنى تعبت – بدلا من قد أعييت [5] وبليه ابـن جنى الذى تصدى للدرس بجامع الموصل وهو صغير فمر عليه الفارسى فسأله عن مسألة فقصّر فيها

---

(١) ينظر: العربية دراسات فى اللغة صـ ١٤ – ١٥.

(٢) حين صدر منهم اللحن كانوا طلابا.

(٣) حماد بن سلمة بن دينار البصرى، مولى تميم، وقيل: لقريش، كان مفتى البصرة وكان عالماً بالنحو، ولم يكن له قرين فى الفضل والدين وشيخ يونس بن حبيب ت: سنة ١٦٧ هـ – ينظر: إنبـاه الـرواه ٣٦٤/١ – تـذكرة الحفاظ ٢٠٢/١.

(٤) مقدمة الكتاب ٧/١ – ٨.

(٥) لأنه من (عيى) الثلاثى من (عى بالأمر) فلم يقدر على إتمامه ينظر: تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ – نزهـة الألبـاء صـ ٨٢ – إرشاد الأريب ١٨٤/٥، والجدير بالذكر أن الكسائى ترك لنا فيما بعد مصنفا فى لحن العامة يحمـل اسمه ويذكر فى مقدمته أنه من عمل الكسائى لهارون الرشيد. ينظر: العربية صـ ٩٧.

فقال له الفارسى: " تربيت وأنت حِصْـرَم [1] " ومن ثم لزم ابن جنى أبا على الفارسى ولم يفارقه فتتلمذ على يديه ثم خلفه بعد وفاته [2].

أما اللحن فى مجال الشعر والشعراء فربما لا يميل بعضهم إلى تسميته لحناً لأن الضرورة هنا – التى يفرضها علم العروض – تبيح المحذورات بمخالفة القواعد النحوية.

وذلك كقول أبى نواس :

يا خيرَ من كان ومن يكون إلا النبيُ الطاهرُ الميمونَ

حيث رفع المستثنى من كلام تام موجب وكان يجب نصبه[3].

وقول الآخر:

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب [4]

حيث استعمل (فعلى) مؤنث أفعل التفضيل دون أن يعرف بأل فكان الأولى أن يقول (الصغرى والكبرى) فإنه لا يستعمل غير معرف إلا إذا كان اسماً نحو (دنيا) أو أخذ معنى معينا فهو: أخرى.

وورد فى الموشح [5] عن بشار بن برد أنه قال فى بائعة طيور يشترى منها الخلّ:

ربابٌ ربةُ البيت تصب الخل فى الزيت

لها عشر دجاجات [6] . وديك حسن الصوت

ذكرها بدون إعراب.

ويذكر أن أول لحن سمع فى البادية (هذه عصاتى) بدلا من (عصاى) وفى العراق (حىٌ على الفلاح) بكسر الياء والصواب فتحها[7].

---

(١) الحِصرم: هو أول العنب، وهو من حَصَر عن، أى: امتنع من شئ فلم يقدر عليه فضاق صدره. ينظر: مختار الصحاح ٨٧.

(٢) ينظر: نشأة النحو صـ ٢٠٢ – الخصائص ١/١ – الكتاب ١/٧ – ٨ – انباه الرواة ٣٣٥/٢.

(٣) ينظر المثل السائر صـ ١١.

(٤) البيت من البسيط، ينظر : ديوان الشاعر صـ ٣٤ – شرح المفصل ١٠٢/٦.

(٥) صـ ٢٤٩.

(٦) ورد برواية (سبع دجاجات) فى إرشاد الأريب ١٦٥/٦.

(٧) البيان والتبين للجاحظ ٥/٢.

وقيل إن عمر ين الخطاب مر بقوم يرمون، فاستقبح رميهم، فقال: ما أسوء رميكم، فقالوا: نحن قوم متعلمين، فقال عمر: لخنكم أشد عليّ من فساد رميكم [1].

ومن المعروف أن نشأة علم النحو فيها خلاف قيل : ١- عربى محض نشأ فى العراق على حدود البادية حيث ملتقى العرب وغيرهم، فكان أكثر البلدان وأظهرها على الإطلاق فى انتشار اللحن الداعى إلى وضع علم النحو، وقد نشأ فى صدر الإسلام، ثم تدرج به التطور تمشياً مع سنة الترقى حتى اكتملت أبوابه وفصوله، وقد اختلف فى أول ما وُضع منه وفيه آراء:

الرأى الأول:- أول ما وضع من أبوابه ما وقع فيه اللحن، أما الباب الموضوع أولاً فلم تثبته الروايات.

الرأى الثانى:- أول ما وضع منه ما كان أقرب إلى متناول الفكر فى الاستنباط، حيث إن وضعه قام على أساس من التفكير وإعمال العقل لاستخراج قواعده من الكلام لانتشار اللحن، فالموضوع أولا ما كثر دورانه على اللسان ثم ما يليه... وهكذا.

ولذا قيل إن الموضوع أولا الفاعل ثم المفعول ثم المبتدأ والخبر... الخ [2].

٢- وقيل : إن علم النحو منقول من لغة اليونان ويسمى باليونانية (غرماطيقى) ومما يدل على صحة ذلك أن الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين واو ناقصة وكذلك الضم وأخواته والكسر وأخواته، عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة وإن شئت قلت الواو الممدودة اللينة ضمة مشبعة، والياء الممدودة اللينة كسرة مشبعة والألف الممدودة فتحة مشبعة وعلى هذا القياس الروم والإشمام نسبتها إلى هذه الحركات كنسبة الحركات إلى حروف المد واللين أعنى الألف والواو والياء [3].

وهذا الرأى لقى استحساناً لدى المستشرقين فمعظم علماء أوربا يرون أن هذا العلم نقل عن اليونان إلى بلاد العرب [4].

---

(١) نشأة علم النحو صـ ١٥.

(٢) ينظر نشأة النحو صـ ٢١ بتصرف.

(٣) ينظر: مفاتيح العلوم ٢٩/١ - ٣١.

(٤) ينظر: ضحى الإسلام ٢٩٢/٢.

ويرى (فون كريمر) أن النحو العربى من وضع الأجانب من الآراميين والفرس، وقد أوجدته الحاجة التى أحس بها هؤلاء الأجانب لتعلم الكتابة العربية وقراءة اللغة العربية على وجه صحيح وعلى الأخص غير العرب الذين أرادوا أن يقفوا حياتهم للدراسات العلمية [1].

وقد تبنى بعض العلماء العرب المحدثين رأى (فون كريمر) واستدل على صحته بأحد معاصرى أبى الأسود الدؤلى – واضع علم النحو وسيأتى الحديث عنه – وهو (يعقوب الرهاوى) فقد تتلمذ على يد (سويرس سيبوخت) وبرع فى الفلسفة والتاريخ والنحو وقد ألف فى الأخير كتاباً بالسيريانية اقتبس فيه الحركات والنقط. ومحاولة أبى الأسود، واقتباس الحركات والنقط فى العربية، كلاهما بدأ فى البصرة، وكانت البصرة فى ذلك الحين موضع التقاء العرب بالفرس والسريان وأهل الهند وكانت لغة العلم والمعرفة فى ذلك العصر اللغة السريانية[2].

والذى دعاهم للقول بذلك أن وضعه كان بعد اختلاط العرب بأهل اللغات الأخرى وتعلم ثقافتهم.

٣- وقيل: إن النحو فيما وضع منه ابتداءاً فقط عربى محض، وما مر به من تطور من حيث التنظيم والتقسيم والتعريف والتعليل من النحو اليونانى [3]..

لأن اليونان كانت وقتذاك تشتهر بالفلسفة والمنطق اللذان يقومان على التعريفات والتعليلات وهذا هو الراجح عندى لأننى لا أجد حرجاً فى أن نعترف باستفادتنا من علوم الأمم الأخرى حيث يكون تطور علومنا وتقدمنا.

واضع علم النحو:-

طالعتنا الكثير من كتب اللغة أن واضعه لا يخرج عن اثنين إما الإمام على بن أبى طالب أو أبو الأسود الدؤلى.

---

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية فون كريمر – تعريب – مصطفى بدر صـ ٩٠ – دار الفكر العربى.

(٢) ينظر: مجلة المجمع اللغوى ٢٤٨/٧.

(٣) ينظر: نشأة علم النحو صـ ٢٢.

فقد قيل: إن أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحد حدوده أمير المؤمنين علـى بن أبى طالب (كرم الله وجهه)، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلى وقد روى أبو الأسود أنه دخل على الإمام (علىّ) فوجد فى يده رقعة فقال له: ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إنى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء – يعنى الأعاجم – فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليـه، ثم ألقى الرقعة وفيها مكتوب: الكلام كله اسم وفعل وحرف... الخ وقال لى: انحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك. فوضعته باباً باباً، وكلما وضعت باب عرضته عليه فيقول: ما أحسن هذا النحو الـذى قـد نحوت ! فلذلك سمى (النحو).

وروى أن سبب وضع الإمام (علىّ) لهذا العلم أنه سمع أعرابياً يقرأ لا يأكله إلا (الخاطئين) فوضع النحو [1].

ويروى أن أعرابياً قدم فى خلافة عمر بن الخطاب فقرأ أمامه قوله تعالى "أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّـنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ"[2] فغضب عمر وقال: ليس هكذا يا أعرابى، وأمر أبا الأسود الدؤلى أن يـضع علم النحو[3].

وروى أن أبا الأسود جاء زياد – وهو أمير البصرة – فقال: إنى أرى العرب قد خالطـت العجم ففسدت ألسنتها، أفتأذن لى أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد: لا تفعـل، قال: فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير: توفى أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفى أبانا وترك بنون ! ادع لى أبا الأسود، فقال ضع للناس ما كنت قد نهيتك عنه [4].

(١) ينظر: نشأة علم النحو صـ ٢٥.
(٢) التوبة من الأية ٣.
(٣) ينظر: مراتب النحويين صـ ٦ لأبى الطيب اللغوى – نزهة الألباء صـ ١٦.
(٤) انباه الرواه للقفطى ١٥/١ – تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم – ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م.

ويروى عن أبي الأسود أيضا أن ابنته قالت له ما أحسنُ السماء فقال لها: نجومها، فقالت: إنى لم أرد هذا ! وإنما تعجبت من حسنها، فقال لها: إذن فقولى ما أحسنَ السماء. فحينئذ وضع النحو، وأول ما رسم منه باب التعجب [1].

وزعم بعضهم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أو نصر بن عاصم [2] وليس هذا بصحيح، فأول من وضعه على بن أبي طالب هذا حال لسان أبي الأسود حيث قال: لفقت حدوده من على بن أبي طالب. عندما سئل من أين لك هذا النحو ؟ [3] وهذا هو الصحيح الغالب، [4] وبعد سرد تلك الروايات التى تثبت أن أبا الأسود الدؤلى إن لم يكن هو أول من وضع علم النحو إلا أنها تثبت أنه أول من أصل له وأعمل فكره بوضع تلك الإشارة الدالة على الإعراب، ولكن نظراً لتعدد الروايات حول واضع علم النحو ظهر بعض المشككين – من العلماء العرب المحدثين – فى أن وضع النحو بالمصطلحات والقواعد التى رويت عن أبي الأسود لا تتفق وطبيعة العصر الذى عاش فيه، حيث لم تعرف هذه التقاسيم والتعريفات والتعليلات إلا فى عصر متأخر، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما:- أنه لم يعرف ألقاب الحركات الحالية رفعاً ونصباً وجراً ويظهر ذلك جلياً عندما قال لكاتبه: فإذا فتحت شفتى فانقط فوق الحرف واحدة[5]... الخ.

الآخر:- أن القارئ – المتأمل – فى كتاب سيبويه وهو أقدم كتاب عرفه النحاة سيلاحظ أنه لا يوجد فيه رأي نحوي واحداً للدؤلى ولا فيما بعده من الكتب النحوية [6].

---

(١) المصدر السابق ١٦/١.

(٢) نشأة النحو صـ ٢٦.

(٣) نزهة الألباء صـ١٧.

(٤) والجدير بالذكر أن أبا الأسود ينسب له وضع مختصراً فى النحو كما تدل إحدى الروايات والتى جاء فيها أنه اختار رجلاً من عبد القيس فقال له: خذ المصحف واصبغه صبغاً يخالف المداد، فإذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف فإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة فى أسفله، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنَّة فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك.

ينظر: نزهة الألباء صـ١٨.

(٥) ينظر: ضحى الإسلام ٢٨٨/٢ – أحمد أمين – ط الثانية.

(٦) ينظر: مجلة كلية الآداب المجلد العاشر ٧١/٢ – عدد ديسمبر ١٩٤٨ – لإبراهيم مصطفى.

ولعل سبب اختلاط الأمر على الرواة فى نسبة هذا العلم للدؤلى أنهم كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وسمتها فى القول ولذا جاء فى اللسان: النحو إنتحاء سمت العرب فى القول [1].

وما ينسب للدؤلى هى الخطوة الأولى فى سبيل علم النحو والتى تتمشى مع قانون النشوء والتطور [2].

وإنصافاً للحق يكفى الدؤلى شرفاً أن ينسب إليه وضع البذرة الأولى لنواة هذا العلم والتى تتمثل فى وضع نقط الإعراب – علماً بأن هذا التنقيط كان يعد علامات واضحة يفرّق بها القارئ بين موضع الرفع، والنصب، والجر، وكان هذا يكفى وقتذاك لضبط المصحف على نهج العربية، وحفظ الألسن من اللحن – وهكذا كان التنقيط هو الأساس الأول للتطور النحوى فيما بعد، وقد ساعد الدؤلى على القيام بهذا العمل علمه بالعربية وبأساليبها وحسه اليقظ بمواقع الخطأ حينما تنحرف الأسنة عن جادة الصواب وقد روى عنه أنه كان يقول: " إنى لأجد للحن غمراً كغمر اللحم " [3] وإننى اتفق مع من قال إن المصطلحات التى سجلتها الروايات السابقة لا تتفق مع طبيعة العصر الذى عاش فيه الدؤلى، وإنما تتمشى معه مسألة التنقيط وما أسميه بـ (نحو الدؤلى) كان فى الواقع تثبيت للنطق العربى حين قراءة القرآن ومن هذه النقطة بدأ النحو ثم اتخذ له شكلاً آخر، فأصبح بعد توالى الأزمان علما مترامى الأطراف لا ساحل لخصمه [4].

وأخيراً أقول: إن أكبر الظن عندى فى احتدام الجدال والنقاش قديماً وحديثاً يرجع السبب فيه إلى أن المحدثين لا يسلمون فى كثير من الأحيان بسلامة روايات وآراء القدامى لتعدد رواياتهم واضطراب أقوالهم.

فنشأة النحو وواضعه مسألة تزينت وبرزت باختلافهم فى زمن بدايته – فى عهد عمر، أو على، أو زياد – وفى واضعه – هل على، أو الدؤلى أو عبد الرحمن بن هرمز، أو نصر بن عاصم – كل هذا جعل المشككين العرب والمستشرقين ينكرون نسبة النحو بتقاسيمه المعروفة واصطلاحاته الحالية للدؤلى.

(١) ينظر: المرجع السابق ٢/٧٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/٧٤ – ضحى الإسلام ٢/٢٨٨.

(٣) تهذيب التاريخ ابن عساكر ٧/١٠٩.

(٤) ينظر: ديوان أبى الأسود صـ ٧٠.

۞ أهمية علم النحو :

بعد أن وقفنا على بداية الإعراب وأسبابه ، ونشأته ، وتطوره لابد أن نذكر أهميته، وأهمية الإعراب تكمن فيما يقوم به من التفرقة بين المعانى المختلفة من الفاعلية والمفعولية، والإضافة وغير ذلك – وهذا ما عليه جمهور النحاة بخلاف قطرب الذى يرى أن أهمية الإعراب عند العرب أتت لتميز الكلام فى حال الوصل عنه فى حال الوقف وليس للدلالة على المعانى المختلفة وقال الزجاجى نقلا عنه: وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم فى حال الوقف يلزم السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان فى الوقف والوصل فكانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا أمكنهم التحريك معاقباً الإسكان ليعتدل الكلام.

وذكر أيضا أن إعراب الكلام لو أتى للدلالة على المعانى المختلفة، لما وجدنا أسماء متفقة فى الإعراب مختلفة المعانى نحو: إن زيداً أخوك، ولعل زيداً أخوك، وكان زيداً أخوك أو مختلفة الإعراب منفقة فى المعنى نحو: ما زيدٌ قائماً، وما زيدٌ قائمٌ، ومن ثم وجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه لا يزول إلا بزواله [1].

أما كون الإعراب جاء ليفرق بين حالتى الوصل والوقف، فيرى الجمهور أنه مخطئ؛ لأنه لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة، ورفعه أخرى، ونصبه. حيث يكون القصد فى هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام [2].

ولا مانع عندى أن يكون الفرق بين الوصل والوقف ميزة من الميزات التى تعطى للإعراب أهمية أكبر.

وقد اختص الإعراب بالحرف الأخير من الكلمة لعدة أسباب:

أولها:– أن الإعراب دال على معنى عارض فى الكلمة فيجب أن تستوفى الصيغة الموضوعة لمعناها اللازم أولاً، ثم يؤتى بعد ذلك بالعارض كتاء التأنيث وياء النسب.

---

(١) ينظر: الإيضاح صـ ٧٠ – ٧١ – شرح الجمل الكبير ١٠٤/١.

(٢) ينظر: الإيضاح صـ ٧١.

الثانى:- أن الإعراب يثبت فى الوصل دون الوقف فكان فى موضع يتأتى الوقف عليه وهو الأخير.

ثالثاً:- أنه جعل أخيراً لتعذر جعله وسطاً، إذ لو كان وسطاً لاختلطت الأبنية، أو ربما أفضى إلى الجمع بين الساكنين أو الابتداء بالساكن، وكل ذلك خطأ لا يوجد مثله فيما إذا جعل أخيراً ورجحه قطرب، وذكر العكبرى أن كل هذه الأمور تصح أن تكون عللاً لارتباط الإعراب بالحرف الأخير والأول أصحها [1].

- أيهما أسبق الإعراب أم البناء ؟

اختلف النحويون فى هذه القضية وكان لهم فيها آراء:

الأول:- أن الحركات الإعرابية هى السابقة والدليل على ذلك أمران:

أولهما:- أن الإعراب متمم لفائدة الكلام، والكلام موضوع للتفاهم فيجب أن يكون مقارناً للكلام لمقارنة المفرد لمعناه فمثلا اللفظ المفرد فى نحو قلم، وكتاب، وجيل، جمل، فكل لفظ من هذه الألفاظ المفردة معناه مصاحباً له متى انتهى اللفظ فهم المعنى عند انتهائه فكذلك الكلام فالمراد منه الفائدة التى تحصل عند الحديث، والحديث لا يكون إلا بالمركب فالمفردات تصور المعانى والمركبات تفيد التصديق وهو المراد الكلى من وضع الكلام فمثلا قولك: أعطى زيد عمراً درهماً ففهمك للجملة يتوقف على أن تعرف الفاعل والمفعول حتى تصل إلى المعنى المقصود من الجملة، أما حركات البناء فلا معنى فى المركب، وإنما هى شئ أوجبه شبه الحرف الذى لم يوضع لتفيد حركته معنى.

ثانيهما:-

أن واضع اللغة حكيم من حكمته أن يضع الكلام للتفاهم، ولا يتم التفاهم إلا بالإعراب، فوجب أن يكون مقارناً للكلام لتحصل فائدة الوضع، وأما البناء فلا يعرف المعنى فيه من اللفظ وإنما يعرف بجهة أخرى.

---

(١) ينظر: المسائل الخلافية فى النحو صـ ١٧ - ١٨.

الرأى الثانى:-

أن حركات البناء أصل والإعراب فرع، لأن حركة البناء لازمة وحركة الإعراب متنقلة، واللازم أسبق من المتنقل ورد هذا الرأى بأن الأصل والفرع لا يقومان هنا على اعتبار اللزوم والانتقال بل يقومان على إفادة المعانى، فقد ثبت أن الأسماء التى يقع فيها اللبس تكون فى بابى الفاعلية والمفعولية، فكان الإعراب مقارناً لهما لئلا يقع اللبس ثم يحتاج إلى إزالته بعد وقوعه. والبناء بعيد عن ذلك.

الرأى الثالث:-

أنهما متساويان، حيث إن واضع اللغة حكيم فيعلم من البداية ما يحرك للإعراب، وما يحرك لغيره، فيجب أن يتساوى ولا يتسابقا.

ورُدَّ عليه بأن المراد السبق فى الرتبة وليس فى الزمان ومما لا شك فيه أن الإعراب سابق، والبناء إما متأخر أو مقارن له بالوضع هذا رأى الغكبرى فى مسائله [1].

(١) المسائل الخلافية صـ ١٩ - ٢٠.

مراحل التطور النحوى

جند الله جنوده لهذا العلم، فبذلوا فى مقاومة اللحن جهودا مغنية لحماية لغة القرآن الكريم، فمنذ بداية نشأته وحتى الآن قد مر بمراحل عديدة عبر العصور المختلفة أوجزها فيما يلى:

المرحلة الأولى:-

بدأت على يد تلامذة الدؤلى، وأشهرهم عنبسة الفيل [١]، وميمون الأقرن [٢]، ونصر بن عاصم [٣]، وعبد الرحمن بن هرمز [٤]، ويحيى بن يعمر [٥].

وفصلّ السيوطى قائلا: وأما فيما روينا عن الخليل، فإنه ذكر أن أبرع أصحاب أبى الأسود عنبسة الفيل وأن ميموناً الأقرن أخذ عنه بعد الدؤلى فرأس الناس بعد عنبسة [٦] ثم توفى وليس فى أصحابه أحد مثل القارئ عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى فهو أول من علل النحو، وكان شديد التجريد للقياس ولم يكتف بدراسة النحو عن طريق التلقين والتعليم وإنما حاول أن يبدون بعض نشاطه النحوى فى كتب تحفظ القواعد والأصول، حيث فرع النحو وقاسه، وتكلم فى الهمز حتى عمل فيه كتاباً أملاه [٧] واشترك معه فى هذه الفترة أبو عمرو بن العلاء [١] حيث إنه كان يمثل اللغة

---

(١) عنبسة بن معدان الفيل الميسانى أخذ عن أبى الأسود، وأخذ من شعر جرير والفرزدق. ينظر: البغية صـ ٦٧٢.

(٢) ميمون الأقرن،أخذ النحو عن عنبسة، وقيل عن أبى الأسود. ينظر البغية صـ ٧٣٠.

(٣) نصر بن عاصم الليثى كان من قدماء التابعين، وفقيها عالماً بالعربية، وكان يسند إلى أبى الأسود فى القرآن والنحو، وله كتاباً فى العربية، وقيل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدوانى ت سنة ٨٩ هـ. ينظر البغية صـ ٧٣٤.

(٤) عبد الرحمن بن هرمز بن أبى سعد المدينى قال الزبيدى: كان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش. ينظر: البغية صـ ٥٦٠.

(٥) يحيى بن يعمر التابعى، كان فقيها وأديبا ونحوياً مشهوراً، سمع ابن عمر وجابراً، وأبا هريرة، وأخذ النحو عن الدؤلى. ت سنة ١٢٧ هـ ينظر: البغية صـ ٧٦١.

(٦) ينظر: المزهر ٣٩٨/٢ – ط الثانية – الحلبى.

(٧) ينظر: نزهة الألباء صـ ٢٢ – المزهر ٣٩٨/٢.

العربية فى مفرداتها وأساليبها، فقد جمع منها الكثير وهو ما لا يعد ولا يحصى حتى لقُب بشيخ الرواة حتى قال عنه أبو عبيدة " أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية " [٢].

وقد قال عنه يونس بن حبيب [٣] " لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله كله فى شئ واحد كان ينبغى لقول أبى عمرو بن العلاء فى العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ قوله وتارك " [١].

---

(١) هو زيان ابن العلاء بن عمار بن العريان بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمى المازنى وهو إمام القراء فى البصرة والكوفة، فقد عرف القراءات وقرأ بأحسنها وبما يختار العرب وبما بلغه من لغة النبى، وجاء تصديقه فى كتاب الله تعالى.

قال أبو عبيد حدثنى شجاع بن أبى نصر وكان صدوقا قال رأيت النبى فى المنام فعرضت عليه أشياء من قراءة أبى عمرو فما رد على إلا حرفين أحدهما (وأرنا منا سكنا) والآخر قوله ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ژ فإن أبا عمرو كان قراءته أو ننسأها، ذكر ابن مجاهد حدثنى جعفر بن محمد قال محمد بن بشير قال سفيان بن عيينة رأيت رسول الله فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراءات فبقراءة من تأمرنى أن أقرأ فقال اقرأ بقراءة أبى عمرو بن العلاء.

وقال وهب بن جرير قال لى شعبة تمسك بقراءة أبى عمرو فإنها تصير للناس إسنادا وقال الأجمعى سمعت أبا عمر يقول لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قرأ به لقرأت حرف كذا وحرف كذا وسمعته يقول خذ الخير من أهله ودع الشر لأصله.

وقال أبو عمر أيضا لأحمد لوهبى فى أن أفرغ ما فى صدرى من العلم فى صدرك لنعلت لقد حفظت فى علم القرآن أشياء لو كنت ما قدر الأعمش على حملها.

ينظر: القراء الكبار ١/٢٠٠ – ١٠٣ – تقريب المعانى صـ ٢٠ – ٢١.

ينظر: معرفة القراء الكبار ١/١٠٠ – ١٠٣ – مكتبة الجامع الكبير مكان أبو عمرو من أهل السنة وأعلم الناس بالقرآن والعربية وأمام العرب والشعر والقرّاء.

توفى بالكوفة سنة ١٥٥ هـ عن ثمانى وثمانين عاما.

(٢) ينظر: البغية صـ ٦٧٠.

(٣) أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصرى أخذ الأدب والنحو عن أبى عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة، وسمع من العرب وروى عنه سيبويه كثيراً وسمع منه الكسائى والفراء وله قياس فى النحو ت ١٨٢ هـ ينظر: وفيات العيان ٢/٤١٦.

وكما كان لعبد الله بن أبي إسحاق مؤلفات وآراء مملاه، كذلك كان أبو عمرو دفاتره تملأ البيت إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها [٢].

أهم سمات هذه المرحلة:-

١- الحفاظ على الأسلوب العربي وصيانته من كل تحريف، لأن غض النظر عنه يوقع فى التساهل فى قراءة القرآن بطريقة غير صحيحة، لذا فقد كان لنحاة هذه المرحلة سلطان على غيرهم من علماء البيان وفحول الشعراء.

فهذا عبد الله بن إسحاق يتصدى للفرزدق فى مواقف عديدة ينقد شعره لخروجه عن أصول القواعد التى وضعوها بعد الاستقراء والقياس للأساليب العربية ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو عمره عن أبي إسحاق أنه سمع الفرزدق ينشد:

وعض الزمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلفُ

فقال له ابن أبي إسحاق على أى شئ ترفع (أو مجلف)، فقال: على ما يسؤك وينؤك ، وقد انتصر أبو عمرو للفرزدق قائلا: أصبت وهو جائز على المعنى: أى أنه لم يبق سواه [٣].

ونفهم من هذه الرواية أن الخلافات النحوية قد أطلت بوجهها فى هذه المرحلة من خلال كل مسألة من مسائل هذا العلم وما يتعلق به من شعر ونثر.

٢- تعدد الحلقات العلمية فى المساجد ومن تأثير تلك الحلقات ما روى عن الخطيب البليغ خالد بن صفوان الذى توفى فى أوائل الدولة العباسية كان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن فلما كثر ذلك على بلال قال له: أتحدثنى أحاديث الخلفاء، وتلحن لحن " السقاءات " فكان خالد بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الإعراب ومما يجدر ذكره أن هذه الحلقات استطاعت أن تحاصر هذا المرض اللعين (اللحن) بين العامة من أهل الحرف والسوق[٤] ولبث أيضاً رغبة الموالى

(١) ينظر: طبقات الشعراء صـ ١١ لمحمد بن سلام – المطبعة المحمودية.

(٢) ينظر: البغية صـ ٦٧٠.

(٣) ينظر: نزهة الألباء صـ ٢٤.

(٤) ينظر: تاريخ آداب العرب للرافعى ١/٢٤٤ – ٢٤٥.

والعجم فى الإلمام باللغة مما جعلهم يشاركون فى نهضتها ويسهمون فى تطورها، وإتقانهم لها أعطاهم الملكة فى تذوق جمال القرآن وبلاغته، ويؤيد ذلك ما قاله بعض المحدثين: ولما عزت الممارسة اللغوية، والتلقى المباشر فزعوا إلى الطريقة الثانية وهى المدارسة وكسب اللغة بالتعلم وهى طريقة تحتاج إلى القواعد، والأصول، والضوابط، والأسس التى يرضى بها متعلم اللغة، فذهبوا يلتمسون هذه الخصائص والمعالم اللغوية، والقوانين التعليمية واستقرءوا من مجموعهم فى اللغة ما استقرءوا [1].

٣- العناية بالتراث العربى من شعر ونثر جاهلى وإسلامى، فهذا التراث هو الرافد الأساس فى إقامة قواعد النحو.

٤- ظهور التعليلات النحوية واللغوية، وكما ذكرت سابقا: إن أول من علل النحو، وفرعه وقاسه عبدالله بن أبى أبو إسحاق.

٥- ظهور المؤلفات النحوية واللغوية، وإن كانت قليلة، ولكنها كانت بداية مهدت الطريق أمام أذهان العلماء فيما بعد يدلك على ذلك ما ألفه عيسى بن عمر الثقفى وهو من أخذ عن سابقيه أبى إسحاق وأبى عمرو فى النحو الإكمال، والجامع وقد ذكرهما تلميذه الخليل:

بطل النحو جميعاً كله ... غير ما أحدثه عيسى بن عمر

ذاك اكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر [2]

٦- عدم التفريق بين الدراسات النحوية واللغوية فى هذه الفترة، كانت العلوم اللغوية والنحوية مختلطة ليس بينهما فواصل تعطى لكل علم منهم خصائصه وسماته، وهذا الأمر يوافق طبيعة هذه الفترة، حيث كان أبو عمرو ويونس، والخليل رواة اللغة يجوبون شبه الجزيرة، بادئين بالبادية ليستقوا اللغة من منابعها، وفى ضوء ما جمعوا حاولوا أن يضعوا القواعد ويرسخوا الأسس ويوضحوا الأساليب. وإنى لأرى أن النحوى اعتمد على اللغوى فى هذه المرحلة؛ لأن اللغوى مهمته أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه أما النحوى فمهمته أن يتصرف فيما ينقله اللغوى،

(١) ينظر: محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية صـ ١٣ أمين الخولى معهد الدراسات العربية العالية.

(٢) ينظر: البغية صـ ٦٧١.

ويقيس عليه [1] وقد جمع علماء هذه الفترة بين الاثنين فكان العلماء فيها يعد موسوعة لغوية نحوية شاملة.

المرحلة الثانية:-

بدأت هذه المرحلة من عهد الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى، وأبى جعفر محمد بن الحسن الرؤاسى الكوفى إلى أول عصر المازنى البصرى وابن السكيت الكوفى [2] وهذه هى مرحلة النهوض بهذا العلم والنحو بمعناه العام الذى يشمل المباحث الصرفية.

وقد عرفنا من المرحلة الأولى أن هذا العلم بدأ بنظرات وآراء متناثرة هنا وهناك ثم أُتيحت لهذه النظرات اللغوية أن تصاغ صياغة علمية تقوم على اتخاذ القواعد وما تنطوى عليه من أقيسة وعلل وأول من فعله كما ذكرت أبو إسحاق وهو من القرّاء المشهورين والجدير بالذكر أن جميع نحاة البصرة من بعده هم أيضا قرّاء، فتلميذاه أبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وتتلمذ على يد عيسى بن عمر الخليل، ويونس وكلهم أيضا قرّاء [3] وأردت التأكيد على ذلك لما يتعلق بأبى عمرو وقراءته والتى هى مضمون هذا البحث.

ولكى يصاغ علم صياغة سليمة لابد له من اطراد قواعده والتى تقوم على الاستقراء الدقيق، والتعليل الذى يقبله العقل فيكفلا لها أن تصير قاعدة مضبوطة يقاس عليها ويحمل عليها نظائرها هذا ما فعله أبو إسحاق وتلامذته. وتبعهم سيبويه من المدرسة والمبرد البصرية، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من المدرسة الكوفية وسلك هذا المسلك المتأخرون من المدرستين [4].

---

(١) ينظر: ضحى الإسلام ٢٧٧/١.

(٢) ينظر: نشأة النحو صـ ٢٢.

(٣) ينظر: المدارس النحوية صـ ١٨ - شوقى ضيف - دار المعارف ١٩٦٨ م.

(٤) ينظر: الاقتراح صـ ١٧ ط: حيدر آباد.

فقد نمى العقل النحوى حيث رصد الظواهر اللغوية واستقرأ منها القواعد المطردة، ونظم الأقيسة نظاماً يهيئ لوضع القوانين الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبادات والتراكيب الفصيحة ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها العربية [1].

وتوسع فى القياس والتعليل، فجعل لكل قاعدة علة ولم يكتف بالعلة التى هى مدار الحكم بل طلب عللاً وراءها، والقياس هو المعيار المحكم السديد، الذى يقاس عليه ما لم يسمع عن العرب ويحمل عليه حملاً [2] وصار كل شئ يخرج عن القياس العام يصير شاذاً. هذا وقد شيدت المدرسة البصرية صرح النحو ورفعت أركانه، بينما كانت الكوفة مشغولة بالتمارين الصرفية حيث استنبطوا للصرف كثيراً من القواعد التى سبقوا بها البصريين حتى عُدُّوا الواضعين لعلم الصرف، فى حين كان الصرف فى المرتبة الثانية لدى البصريين، ولم يمنع ذلك الكوفيين من اللحاق بهم فى علم النحو [3]، فأول مُؤَلَّف عُرف لهم كتاب (الفيصل) للرؤاسى، روى ابن النديم: " وقال الرؤاسى: بعث الخليل إلىّ يطلب كتابى، فبعثت به إليه فقرأه، وكل ما فى كتاب سيبويه وقال الكوفى كذا فإنما يعنى الرؤاسى " [4].

وهكذا تكونت المدرستين الكوفية والبصرية فى هذه المرحلة ثم جاء سيبويه فأبدع كتابه، وكذلك الكسائى من المدرسة الكوفية فقد ألف كتاب (المصادر) وجاء والفراء بعده فألف كتاب (فعل أفعل) ويحسب للكوفيين مؤلفاتهم الصرفية، لكن حتى هذه المرحلة لم ينفصل النحو عن الصرف [5].

---

(١) ينظر: المدارس النحوية صـ ١٢ – ١٣.

(٢) ينظر المدارس النحوية صـ ١٩ – ٢٠.

(٣) نشأة النحو صـ ٤٣.

(٤) الفهرست: الفن الثانى المقالة الثانية – معجم الأدباء ١٢٢/١٨ ترجمه الرؤاسى – نشأة النحو صـ ٤٤.

(٥) نشأة النحو صـ ٤٥ – ٤٦.

أهم سمات هذه المرحلة:-

١- ظهور المدرستين البصرية والكوفية.

٢- أبرز علماء هذه المرحلة هم القرّاء.

٣- استقراء القواعد القياسية بعد الاستقراء الدقيق والذى بدأه أبو عمرو بن العلاء ثم الخليل حيث جابوا البوادى العربية وأخذوا منها.

٤- جمع المسائل المتفرقة والمتناثرة وصياغتها صياغة علمية تقوم على التعليل والأدلة.

٥- ما زال علما النحو والصرف مختلطين فى المؤلف الواحد، فلم ينفصلا بعد.

٦- اختلاط العلماء بالثقافات الأعجمية.

المرحلة الثالثة:-

بدأت بعهد أبى عثمان المازنى البصرى ويعقوب ابن السكيت الكوفى إلى آخر عصر المبرد البصرى، وثعلب الكوفى [١] وما قدمه بداية أصحاب الطورين السابقين جعل نحاة هذه المرحلة يبذلون الجهد فى إكمال ما فات من سبقهم، فشرحوا ما أجمل فى كلامهم، واختصروا ما يحتاج إلى الاختصار، فلم يدعوا شيئا إلا تناولوه إما بالشرح، وإما بالإجماع.

ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة هو انفصال علم الصرف عن علم النحو بالدراسة والبحث، وأول من بدأ السير فى هذا الطريق المازنى فقد ألف فى الصرف وحده وشق الطريق لمن بعده [٢] والجدير بالذكر أن عناية المازنى بالنحو ومسائله لا تقاس فى شئ إلى عنايته بالتصريف [٣].

فقد ظهرت التمارين غير العملية فى الصرف على يده ومن أمثلة هذه التمارين كأن يقال: ابن من ضَرب على مثال جعفر فيقال: ضربت أو ابن منها على مثال سفر جل فيقال ضربّب، ومن علم على علمّم ومن ظرف ظرفّف [٤].

---

(١) ينظر: نشأة النحو صـ ٤٥.

(٢) ينظر: السابق صـ ٤٦.

(٣) ينظر: المدارس النحوية صـ ١١٦.

(٤) ينظر: السابق صـ ١١٩.

ولم تنسلخ هذه المرحلة حتى فاضت دراساتها فى المدن الثلاث (البصرة والكوفة وبغداد) فبذل الجميع الجهود المضنية لاستكماله والإحاطة بجميع قواعده حتى برزت صورته وشخصيته وثبتت قواعده وأصوله بين الفريقين على يدى الإمامين المبرد البصرى، وثعلب الكوفى روى ياقوت (قال لى أبو عمر الزاهد سألت أبا بكر السَّرَّاج فقلتُ أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أعلمُ ؟ أثعلب أم المبرد؟ فقال: ما أقولُ فى رجلين العالمُ بينهما؟ [1].

المرحلة الرابعة:-

وهى مرحلة الترجيح، وقد بدأت فى نهاية المرحلة الثالثة حيث تلاقى علماء المدرستين فى بغداد بعد أن انفصل العلمين ورست ورسخت قواعدهما وأصولهما. فنشأت مدرسة ثالثة جديدة تسمى بـ (المدرسة البغدادية) تقوم على الترجيح بين المدرستين فتارة يرجحون قواعد اعتمدتها المدرسة البصرية بإعمال المصدر المنون عمل فعله.

وتارة أخرى يرجحون قواعد اعتمدتها المدرسة الكوفية كجواز نداء المعرف بأل فى الاختيار دون التوصل إليه بأى أو اسم الإشارة، ومراعاة لفظ الجمع فى العدد فيجرد من التاء فى نحو: ثلاث حمامات.

وهذا لا يمنع من أن يكون لهذه المدرسة اجتهادات فى القياس والسماع وظل شأن هذه المدرسة عالياً إلى أن ضعفت الخلافة العباسية بغلبة البويهين عليها فتفرق العلماء وغلقت المدرسة البغدادية أبوابها [2].

❁❁❁

(١) ينظر: معجم الأدباء، ترجمة ثعلب ٥ /١٣٨.

(٢) ينظر: نشأة النحو صـ ١٩٠.

إعراب القرآن
بين
المشككين والمثبتين

نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ مفرقا حسب الحوادث خلال ثلاث وعشرين عاماً، وقد تعاون الجميع على حفظه، ورعايته وكان كلما نزل على النبى ﷺ شئ من القرآن أمر أحد كتاب الوحى بتدوين ما أوحى الله تعالى به، ووضعه فى مكانه من المصحف بناء على توجيه جبريل عليه السلام عن رب العزة، وكان للنبى ﷺ ما يقرب من أربعين كاتباً وكان ما يكتب من القرآن يجمع فى بيته (ﷺ) ولم يكن فى الإمكان حينذاك جمع القرآن بين دفتى مصحف، لأنه ﷺ كان ينزل عليه القرآن قبيل وفاته.

ثم بعد أن تولى أبو بكر الخلافة كثر قتل حفاظ القرآن، بسبب الحروب والغزوات، فخشى عمر بن الخطاب أن يضيع شئ من القرآن بسبب موت الحفاظ فاقترح على أبى بكر جمع القرآن بين دفتى المصحف، فرحب أبو بكر باقتراح عمر، فأمر زيد بن ثابت الأنصارى بجمع القرآن الكريم، فتعاون زيد وعمر بن الخطاب على جمعه خلال عام واحد وذلك سنة اثنتى عشرة للهجرة.

ثم شكلت لجنة فى عهد عثمان بن عفان مكونة من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام لجمع المصاحف التى كتبت على سبعة أحرف فى مصحف واحد وصار مصحف الإمام هو المصحف الأصلى الذى تكتب على غراره المصاحف حتى يومنا هذا.

والجدير بالذكر أن المصحف كتب بالخط العثمانى، وهذا الخط من حيث الجوهر ظل ثابتا لم يطرأ عليه أى تعديل، ومن حيث الشكل وحده فقد لبى هذا الخط حاجة الأمة الإسلامية وقتذاك؛ لأنه كان أداة تتسم بالمرونة فى أيدى الخطاطين والناسخين.

وكأن هذا الخط فى عصور صدر الإسلام يقوم مع السليقة اللغوية العربية بدوره على أكمل وجه، ولكن مع كثرة الفتوحات لبلاد العجم، واحتكاك العرب بأهلها، فسدت السليقة العربية فشاع اللحن وكان وقتها المصحف العثمانى يخلو من (الإعجام والشكل) أى ضبط حركة الحرف

وإزالة إعجامه بالنقط الفوقية، والتحتية سواء موحدة أم مثناة وبناء عليه قام أبو الأسود بوضع علامات الإعراب على صورة نقط كما ذكرت سابقا فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة تحته، والضمة بين يديه، وجعل التنوين نقطتين كل ذلك بمداد يخالف مداد الحرف. فلما جاء نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر فوضعا – بأمر من الحجاج – نقط الإعجام اشتبه الإعجام بالشكل.

ثم جاء الخليل فاستدرك هذا الاشتباه فوضع الشكل على الطريقة التى تعرفها اليوم " للفتحة ألفاً صغيرة مضجعة فوق الحرف، وللكسرة رأس صغيرة تحته، وللضمة واو صغيرة فوقه فإذا كان الحرف المحرك منوناً كرر الحرف الصغير مرتين فوق الحرف أو تحته، وللتشديد رأس شين بغير نقط ( )، وللسكون دائر صغيرة، وللهمزة رأس عين (عـ) وللألف رأس صاد، وللمد الواجب مع جزء دال (ـّ) فكان مجموع ما تم له وضعه ثمانى علامات: الفتحة والكسرة، والضمة، والسكون، والشدة، والهمزة، والصلة والمدة... [1].

هكذا بدأت عملية ضبط الشكل والإعجام للقرآن الكريم ومن ثمّ كانت هذه العملية نواة لوضع علم الإعراب ومعرفة علله وأسبابه.

وظاهرة إعراب القرآن شغلت كثير من العلماء العرب فقامت حوله كثير من التفاسير اللغوية ربما تحمل نفس الاسم للفراء والأخفش والزجاج، والنحاس... وغيرهم لأهمية تلك الظاهرة عند النحاة من القدامى والمحدثين حيث إن القرآن كان المصدر الثانى بعد الشعر العربى فى أدلة الاستشهاد والحقيقة أنها لم تشغل علماء العرب فقط، بل العلماء المستشرقين المهتمين باللغة العربية فيرى فولزر، وكاله، وحاينم رين أن القرآن الكريم قد نزل فى الأصل بلهجة محلية من اللهجات العربية، وأنه لم يكن معرباً، ثم أدخل الإعراب عليه على وفق قواعد الشعر واستدلوا على ذلك بوجود مخطوطين فى إحدى المكتبات بلندن ذكر فيهما أحاديث تحث على التزام قواعد الإعراب فى قراءة الكتاب العزيز فثبت بذلك عندهم أن الناس لم يكونوا يراعون الإعراب فى قراءة كتاب الله فى بادئ الأمر ثم روعى الإعراب فيها وفق قواعد النطق المضبوطة فى الشعر، والتى دونها علماء

(١) ينظر: مقال بعنوان " الخليل بن أحمد " لطه الراوى – مجلة الرسالة صـ ٥٥٠ العدد الحادى عشر ١٩٤٣ م.

النحو فيما بعد [١] ومن هذه الأحاديث « أعربوا القرآن فإنه عربى » [٢] و « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه » [٣]... الخ مما يدل على أن اللحن كان يقع من الصحابة فى القرآن الكريم، لعدم وجود الإعراب.

فمعنى زعمهم أن هذه القواعد لم تكن مراعاة فى لهجات الحديث اليومى، ولا فى الكتابة، وإنما خلقها النحاة قاصدين بذلك مد اللغة العربية بنظم شبيهة بنظم اللغات الإغريقية حتى يكمل نقصها على أساس أنها ناقصة من وجهة نظرهم [٤].

لم يكن كل المستشرقين يتبنون نفس وجهة النظر التى لفولزر وأتباعه بل إن منهم من رد عليهم قائلا: لقد احتفظت العربية الفصحى فى ظاهرة التصرف الإعرابى بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية، وأن علامات الإعراب جاءت كلها مطردة وكاملة السلطان فى الشعر العربى البدوى - والقرآن الكريم - فهذا أمر وإن لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر الذى لا تترك أساليب العروض والقافية مجالاً للشك فى إعراب كلماته، إلا أن موقع كلمات القرآن الكريم الاختيارية لا تترك أثراً للشك فيه كذلك فمثلا قوله تعالى"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [٥] وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ [٦] فموقع هذه الكلمات فى الآيتين السابقتين لا يمكن أن يكونا إلا فى لغة لا يزال الإعراب فيها حياً صحيحاً [٧].

---

(١) ينظر: علم اللغة العربية صـ ٢٣٥ دراسات فى فقه اللغة، صبحى صالح ١١٧ - ١٤٠ - الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة (مجموعة البحوث التى قدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الإسلامية جمع ومراجعة وتقديم أ/ محمد خلف الله صـ ٣٢٨ - مكتبة النهضة المصرية.

(٢) جامع الأحاديث كتاب فضائل القرآن - باب إعراب القرآن ١٨١/٢.

(٣) ينظر : فضائل القرآن ١٨٣/٢ - جامع الأحاديث كتاب باب تعلموا القرآن كما حفظه.

(٤) ينظر: فقه اللغة المقارن صـ ٢١٠ -٢١٦.

(٥) فاطرمن الآية (٢٨).

(٦) البقرة من الآية (١٢٤).

(٧) ينظر: العربية (يوهان فك) صـ ٣ - ٤.

هذا على اعتبار أنهم لا يؤمنون بالقرآن وبما ورد فيه الذى شهد فيه رب العزة بعربيته حينما قال وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ[1].

والرد على ظاهر الأحاديث والتى ادعى المستشرقون أنها دالة علة وقوع اللحن مع الصحابة فى القرآن الكريم، وذلك لذهاب الإعراب النحوى أن المراد بالإعراب هو معناه اللغوى وهو البيان والإفصاح، والمعنى تعرفوا على ما فيه من حلال فاعملوا به، وعلى ما فيه من حرام فتجنبوه، يدل على ذلك أن الصحابة كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزنها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم والعمل جميعا [2].

يُعد الإعراب عنصر أساسياً من عناصر اللغة العربية، وليس من إلهام عبقرى، أو اختراع عالم، وأن كل ما عمله علماء النحو حيال هذا النظام أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصاً من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب، نظموها، وصاغوها فى صورة قواعد وقوانين[3].

وذكر أحد المحدثين أننا لا نستطيع أن ننكر العلامات الإعرابية فهى تعد قرينة من القرائن ولا تستقل بمفردها للدلالة على المعانى النحوية مستخدما المصطلح الذى سلكه " تضافر القرائن"[4].

وأخيراً فإننى أرى، أن القرآن الكريم نزل من فوق سبع سموات مشكلاً ومضبوطاً باللسان العربى الذى عرف الضبط بالشكل فى أواخر الكلمات لفظاً لا كتابة، فنزل القرآن بنفس لغته شكلا ومضموناً وهنا تكمن معجزته، أما كون الضوابط والعلامات لم توضع إلا فى وقت متأخر فذلك؛ لأنه قد طرأت الحاجة التى دعت إلى ذلك، وإنى أقر بأن إعجاز القرآن الكريم لا يكمن فى أنه نزل من عند الله ليتحدى فصاحة العرب فقط، وإنما لشغله عقول العلماء و الباحثين فهيأهم الله إلى ميادينه، وكشف أسراء ومن أهم ميادينه ميدان الإعراب، فالإعراب يوضح المعنى ويبين

(١) النحل من الآية (١٠٣).

(٢) ينظر:إعجاز القرآن للرافعى صـ ٧٥ – مقدمة فى أصول التفسير لابن تيميةصـ٥.

(٣) ينظر: فقه اللغة المقارن صـ ٢١٠ – ٢١٦.

(٤) ينظر: اللغة معناها ومبناها صـ ٢٠٥ – ٢٠٧.

الغرض، ويوضح جمال التركيب، وحسن الصياغة، ومن ثم ألف العلماء فيه جُلة من الكتب كلـــها فى إعراب القرآن حتى ظُنّ أن إعراب القرآن علماً قائماً بذاته أو فرعاً من فروع علم التفسير [1]. بيد أنه فى الحقيقة من علم (النحو).

❁❁❁

(١) ينظر: كشف الظنون ١/١٢١.

تعريف اللهجة

اللهجة فى اللغة من اللهج، واللهج بالشئ الولوع به.

ولهج بالأمر لهجاً إذا ولع به واعتاده أو أغرى به وملهج أى مولع به [١].

ولهج الفصيل بأمه يلهج إذا تناول ضرعها يمتص اللبن وهو فصيل لاهج [٢].

واللهجة: طرف اللسان أو جرس الكلام، يقال فلان فصيح اللهجة صادق اللهجة وهى طريقة من طرق الأداء [٣].

وفى الحديث ما من ذى لهجة أصدق من أبى ذر، وفى حديث آخر أصدق لهجة من أبى ذر [٤] واللهجة هى اللغة التى جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها [٥].

أما فى الاصطلاح: فهى " مجموعة من الصفات اللغوية التى تنتمى إلى بيئة خاصة ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات، وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها باللغة [٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب ٣٥٩/٢ – مختار الصحاح ١، ٢٥٣ تاج العروس ١٩٢/٦ مادة (ل هـ ج) المخصص ٤٧٩/٢.

(٢) ينظر: العين ٣٩٠/٣ – أساس البلاغة ٥٧٧/١ مادة (لـ هـ ج).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ٣٦/٦ – المعجم الوسيط ٨٤١/٢.

(٤) ينظر : المستدرك فى الصحيحين ٣٨٥/٣ – ح ٥٤٦٠– كتاب معرفة الصحابة باب ذكر مناقب أبى ذر الغفاري – سنن الترمذى ٦٦٩/٥ – كتاب المناقب – باب مناقب أبا ذر الغفارى ح ٣٨٠٢.

(٥) ينظر: العين ٣٩١/٣ – تهذيب اللغة ٣٦/٦ – مقاييس اللغة ٢١٥/٥ – اللسان ٣٥٩/٢ مادة (لـ هـ ج).

(٦) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية صـ٥١-٥٢.

۞ اللهجة وعلاقتها باللغة :

من خلال التعريف السابق للهجة يتبين لى أن العلاقة بينهما علاقة الخاص بالعام أو الفرع بالأصل ن غير أن اللغويين العرب القدماء حين أشاروا إلى الفروق بين لهجات القبائل العربية لم يستعملوا مصطلح اللهجة بهذا المفهوم، وإنما كانوا يستعملون مصطلح " لغة " أو " لغية "، ولعل السبب فى ذلك أنهم لم يتوافروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التى كان يتكلمها الناس فى حياتهم اليومية، وإنما كانت ملاحظاتهم تنصب على الفروق بين اللهجات التى دخلت الفصحى؛ ولذا لم نجد كتاباً تراثياً يحمل عنوانه مصطلح (اللهجات)؛ فى حين أننا نجد كثيراً مصطلح " اللغات "، وقد عقد ابن جنى بابا فى الخصائص سماه " تداخل اللغات " وثمت كتب عنوانها (كتاب اللغات) لعلماء اللغة كالفراء، وأبى عبيدة، والأصمعى غير أن هذه الكتب لم تصل إلينا [1].

ومن ثمّ انتبه العلماء إلى الطاعون – اللحن – الذى غزا الدور العربية وأخذ يهاجم ملكة اللسان، فخشوا أن ينغلق القرآن والحديث عن المفهوم فأخذوا يصنعون الدواء لمعالجة هذا المرض اللعين بما أسماه ابن خلدون " صناعة العربية " معللا لذلك بقوله: " إن اللغة هى ملكة فى ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغتنا، فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التى للمستعربين، والسمع أبو الملكات، وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث عن المفهوم فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة [2] فكانت حصيلة المادة اللغوية الأساسية الموضوعة لهذا العلم مأخوذة من القبائل العربية عن طريق السماع، ومن ثم القياس لاستنباط القواعد.

ومن أوائل الجهود التى لابد أن نشيد بها لتطوير هذا العلم جهود الخليل، فقد كان شديد الحرص عند أخذه من القبائل، وقد اعتمد لتأصيل العربية العديد من لهجات القبائل العربية التى كان يرى أن لهجاتها تخلو من اللحن – وذلك لبعدها عن الاحتكاك بالأعاجم، أو العرب الذين

(١) ينظر: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية صـ ٥٢.

(٢) ينظر: الإيضاح فى علل النحو صـ ٨٩.

كانوا يجاورونهم فى المكان من خلال الحياة اليومية أو فى الشعائر الدينية كما كان يفعل سكان نجران الذين هم نصارى يتعبدون بالسريانية.

❁ أهم القبائل العربية الفصيحة :

ومن أشهر وأهم القبائل التى كانت تؤخذ عنهم عربية التأصيل القياسى: أسد، وتميم، وقيس، وهذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، مع الدفاع عن كل قبيلة – وسبب اختيارها لئن تكون ضمن قائمة التأصيل النحوى – دفاعاً يعتمد على المكان الذى كانت تعيش فيه.

فمن المعلوم أن الخليل بن أحمد – وهو ما أخذ عنه سيبويه فى كتابه – جاب البوادى العربية طالباً للعلم، ومستزيدا من فصاحة العرب الأقحاح، وناقلا بعبقرية العالم، ومستمعاً بأذُن الفقيه اللغوى لكل ما يُسمع منهم، ولكنه لم يشر مطلقاً إلى التحديد المكانى الذى أخذ منه اللغة فى مرحلة التأصيل، ولم يرد عنه أنه قد وضع معايير مكانية تحدد القبائل التى يؤخذ بلسانها، فقد وضع علل النحو وصنفها بطريقته الخاصة بعد أن طاف بوادى الحجاز ونجد و... الخ فى شبه الجزيرة – ثم بعد روية وتفكير ألف وصنف.

وبعد البحث والتنقيب فيما تيسر لى من المصادر والمراجع أستطيع أن أقول: لعل أول من تحدث عن التحديد المكانى للقبائل التى أخذت منها لهجات لتأصيل القواعد هو الفارابى حيث قال: فى كتابه الحروف: " متى تأملت أمر العرب فى هذه الأشياء، فإن منهم سكان البرارى، ومنهم سكان الأمصار، وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين، وكان الذى تولى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق، وتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البرارى من كان فى أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشاً وجفاء وأبعدهم إذعاناً وإنقياداً، وهم قيس وتميم وأسد وطئ ثم هذيل فإن هؤلاء معظم من نقل عنه لسان العرب، والباقون لم يؤخذ عنهم شئ؛ لأنهم كانوا فى أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المحيطة بهم من الحبشة والهند، والفرس، والسريانيين، وأهل الشام، وأهل مصر[1].

(١) ينظر: الاقتراح صـ ١٠٠ تحقيق د/محمود سليمان ياقوت.

وتعقبه السيوطى قائلا: قال أبو نصر الفارابى فى أول كتابه المسمى (الألفاظ والحروف) كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة... والذين عنهم نقلت اللغة العربية... من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل على الغريب وفى الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن حضرى قط، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جذام، لمجاوراتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان، وإياد، لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب، والنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس، ولا من عبد القيس، وأزد عمان، لأنهم كانوا مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن، لمخالطتهم للهند، والحبشة ولا من بنى حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف، وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوها حين بدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم... والذى نقل اللغة اللسان العربى عن هؤلاء وأثبتها فى كتاب وصيرها علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط بين أمصار العرب [1].

ومن ثم نخلص من النصين السابقين بأمرين:

الأول:-

أن القبائل المعتمدة عند الفارابى والسيوطى هى: قيس وأسد وتميم وطئ، وهذيل وكنانة.

الثانى:-

أنه قد أخذ عن هذه القبائل تحديداً لأنهم قد توافرت فيهم الشروط التى يجب توافرها فيمن يؤخذ عنهم وهى العزلة، وعدم الاختلاط، فهذه هى شروط اعتماد من تؤخذ منه الفصاحة والبلاغة والبيان اللغوى. وهذا ما توافر فى لهجة قريش حتى جعلها فى مقدمة اللهجات التى يعتمد عليها قال فيها السيوطى: " أجود لغات العرب وأحسنها، وأبينها"[2].

---

(١) ينظر: الاقتراح صـ ١٠٠ - ١٠٤.

(٢) ينظر: الاقتراح صـ ٤٤ - المزهر ١/٢١١.

ولعلو مكانة اللهجة القرشية فقد اختار ابن خلدون مجموعة من القبائل اعتمد شهادة فصاحتها على درجة قربها من قريش ليجعلها تالية لها فى التفوق اللغوى موافقاً فى بعضها الفارابى والسيوطى والقبائل هى: ثقيف، وهذيل، وخزاعة، وكنانة، وغطفان وبنو سعد، وبنو تميم، ولم يذكر قيساً وطئ [1].

ونقل أبو عبيد عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قوله: " نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن وهم الذين لهم عليا هوازن وهن خمس قبائل أو أربع، منها: سعد بن بكر وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، ثم عقب أبو عبيد قائلا: وأحسب أفصح هؤلاء بنى سعد بن بكر وذلك لقوله ﷺ: « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش، وإنى نشأت فى بنى سعد بن بكر » [2] حيث كان مسترضعاً فيهم وقال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم [3].

وبنظرة متأنية إلى خريطة توزيع هذه القبائل تأكد أنهم لم يكونوا فى عزلة مكانية، يرشد إلى ذلك نسبهم، فبنو سعد بن بكر هم سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان [4].

فهم من هوازن، وهوازن لا تعد فى قائمة من قبائل عليا هوازن فكانت تسكن الطائف وكان لهم صنم يسمى اللات مبنياً على صخرة كانوا يحرمون من واديه، فهدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة[5] وينسبون إلى بنى منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكر مة بن خصفة بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم ثقيف [6].

---

(١) ينظر: المقدمة لابن خلدون ٢٥٨/٢ – ٢٥٩ – المكتبة التجارية – مكة المكرمة.

(٢) ينظر : الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة ١١٧/١ ح٦٩ – كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ٢٣٢/١.

(٣) المزهر ٢١٠/١ – ٢١١.

(٤) جمهرة أنساب العرب صـ ٢٦٥.

(٥) المصدر السابق صـ ١٨٢.

(٦) المصدر السابق صـ ٤٩١.

وكان سوق عكاظ فى أرضهم تفد إليه وفود العرب وشعراؤها يتفاخرون ويتبارزون بسيوف الشعر أمام المحكمين فى مختلف القبائل حيث لا مجال للعزلة المكانية.

ويذكر صاحب الجمهرة أن (تميم) تلتقى فى النسب مع هاتين القبيلتين، فهم تميم ابن عامر بن أد بن طانجة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [١] فهم أبناء عمومة يلتقون مع بنى سعد بن بكر ومع ثقيف، فلابد أن صلة كانت قائمة بينهم بحكم القربى، وبحكم السوق المشهور الذى كان يجمعهم وقبائل العرب [٢].

وما نقله السيوطى عن الفارابى يفيد أن الرواة لم يأخذوا عن لهجات قبائل كثيرة، يقول أبو عمرو بن العلاء " ما انتهى إليكم مما خالف العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير " [٣] ومن ثم أرى أنه كان يجب الأخذ من كل اللهجات ولكنهم لم يفعلوا ذلك لعدة أسباب:

أولها:- أنهم اعتبروا أن لهجة قريش هى أفصح اللهجات قال ابن فارس " إن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة " [٤] مع أنها كانت تطوف البلدان الأجنبية من خلال رحلاتها فى الصيف والشتاء فكانت متصلة بالأمم المجاورة، وكان أيضا يفد إليها للتجارة وللمنافسة الشعرية قبائل - من كل بقاع شبه الجزيرة - مخالطين للعجم وغير مخالطين ليحتفلوا باجتماعاتهم السنوية فى الأسواق المعروفة، ولم يمنع ذلك من أن تكون أفصح اللهجات العربية، ومن ثم فاختلاطها بالأمم المجاورة لم يكن عنها ببعيد، إذا فشرط العزلة لم يكن متوفراً للهجة القرشية.

الثانى:- أن القرآن الكريم قد شرف جميع اللهجات العربية حتى التى لم يأخذ عنها بأنه قد احتواها فمثلا لهجة غسان وردت فى القرآن أربع مرات [٥]، ولهجة أزد عمان [٦]، ولهجة بنى حنيفة ثلاث مرات [٧]، ولهجة خزاعة مرتين [٨]، ولهجة لخم مرتين [٩] ولهجة جذام [١]، واليمن [٢]،

(١) جمهرة الأنساب صـ ٢٠٧.
(٢) ينظر: دور اللهجة فى التقعيد النحوى صـ ٩.
(٣) ينظر " الاقتراح صـ ١٠٣.
(٤) ينظر: الصاحبى صـ - المزهر ١/٢١٠.
(٥) ينظر: كتاب اللغات فى القرآن صـ ٢٧ - ٢٨ - ٣١ - ٤٨ - الاتقان ١/١٣٦.
(٦) ينظر: كتاب اللغات فى القرآن صـ ٤٢.
(٧) ينظر: المصدر السابق ٢٥ - ٤٠ - ٤٤ - الاتقان ١/١٣٦.
(٨) ينظر: المصدر السابق ٢١ - ٢٤ الاتقان ١/١٣٦.
(٩) ينظر: المصدر السابق ٢٧ - ٣٤ الاتقان ١/١٣٦.

وقضاعة [٣]، واليمامة [٤]، والنمر [٥]، ولهجة ثقيف[٦]، وهذيل قال عثمان " اجعلوا المصلى من هذيل، والكاتب من ثقيف"[٧] بيد أن بعض اللهجات أوفر به نصيباً من بعض، مما يؤكد أن ميزان الفصاحة الذى وضعه صانعوا العربية من اشتراط العزلة وعدم الاختلاط – فلابد أن يكون بدوياً – لم يكن عادلاً، وإلا فماذا يقولون فى كتاب الله ﷻ الذى تضمن كل اللهجات العربية، بقول ابن جنى: وقد كان طرأ علينا أحد من يدعى الفصاحة البدوية.. فتلقينا كلامه بالقبول له، وميزناه تمييزا حسن فى النفوس موقعه إلى أن أنشدنى يوماً شعراً لنفسه يقول فى بعض قوافيه " أشنوءها وأداؤها بوزن أشعها وأدعها – فجمع بين الهمزتين كما ترى " قال ابن جنى: " وهذا ما لا يبيحه قياس، ولا ورد بمثله سماع " [٨] ومعنى ذلك أن بدوية الأعرابى لم تشفع له فى عدم الأخذ عنه. ومن ثم يرى أنه لو علم أن أهل الحضر باقون على فصاحتهم ولم يعترض شئ من الفساد لغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ من أهل الوبر[٩].

ويرى بعضهم أن القول بأن لهجة البدو أفصح من لهجات الحضر قول ينقصه برهان [١٠] وأن من العبث أن نبحث عن المثل الأعلى للكمال اللغوى فى نوع من اللغات دون سواها [١١]أرى أن المثل الأعلى للكمال اللغوى القرآن الكريم بما ورد فيه من جميع اللهجات الموافقة للقياس والسماع – ومن هنا جاءت المعجزة لكتاب الله الذى لم يأتيه الشك أبدا – وقد قامت مؤلفات كثيرة لحصر اللهجات الواردة فيه والمجال هنا لا يتسع لحصرها وهذا يجعلنا نعيد النظر فيما ورد عن

(١) ينظر: الاتقان ١/١٣٦.

(٢) ينظر: الاتقان ١/٤٩ – ١٣٥ – ١٣٦ – المزهر ١/٢١١.

(٣) ينظر: الاتقان ١/٥٠.

(٤) ينظر: الاتقان ١/١٣١٦.

(٥) ينظر: الاتقان ١/١٣٦.

(٦) ينظر: الاتقان ١/٤٨ – اللغات صـ ٢٨.

(٧) ينظر: المزهر ١/٢١١.

(٨) ينظر: الخصائص ٢/٦.

(٩) ينظر: المصدر السابق ٢/٥ – الاقتراح صـ ٢٤.

(١٠) ينظر: اللهجات العربية فى التراث ١/١٨٣.

(١١) ينظر: دلالة الألفاظ العربية وتطورها صـ ١٥.

الفارابى من قائمة القبائل التى أخذ عنها حيث إننى ألمح بين ثنايا المصادر التى اطلعت عليها خلافا شديدا بين الرواة بشأن أفصح القبائل:

فقد ذكر الخليل فى كتابه العين أن أفصح العرب نصر قعين أو قعين نصر[1] وعن المبرد أن (جرماً) أفصح العرب [2]، وعن أبى عمرو أن أهل السروات، وهى ثلاث وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن، فأولها هذيل... ثم سراة الأزد – أزْد شنوءة [3] وقيل: إن أفصحهم عليا تميم وسفلى قيس [4] وقيل: عجز هوازن [5]، وقيل خزاعة أعرب الناس [6]، وقيل هذيل أفصح لغات العرب [7].

وأفهم من ذلك أن الفارابى ربما تعصب فى قائمته للقبائل المشهورة أما القبائل الأخرى ربما كانت مغمورة لم تنل حظاً من الشهرة التى نالتها القبائل التى ذكرها فى قائمته.

۞ اللهجات وعلاقتها بالقرآن :

إن (القائمة الفارابية) صارت ذا أهمية كبيرة فقد أحدثت دوياً بين قطبى المدرسة النحوية (البصرى) الذى مال إليها ميلاً شديداً واتخذها درباً لا يحيد عنه، و (الكوفى) الذى زاد عليها فتوسع فى الأخذ عنها وعن غيرها، يذكر ابن النديم فى أخبار الرياشى البصرى أنه قال فى الكوفيين: " هؤلاء أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ [8] والشواريز [9] " [10].

---

(١) ينظر : العين مادة (ق ع ن) ١٦٩/١ – اللسان مادة (ق ع ن) ٣٤٥/١٣.

(٢) ينظر: الكامل ٣٧١/١ – المفصل للزمخشرى صـ ٣٣٣ – الفائق ٤٥٩/٢.

(٣) ينظر: المزهر ٤٨٣/٢.

(٤) ينظر: المصدر السابق ٤٨٣/٢.

(٥) ينظر: المصدر السابق ٤٨٣/٢.

(٦) ينظر: اللسان مادة (خزع).

(٧) ينظر: أحسن التقاسيم ٩٧/١.

(٨) جمع كامخ وهو أدم يؤكل لتشهى الطعام. ينظر : اللسان مادة (كـ م خ).

(٩) جمع شيراز وهو اللبن الرائب. ينظر : اللسان مادة (شرز).

(١٠) ينظر: الفهرست صـ ٩٢ – أخبار النحويين البصريين صـ ٦٨.

ونقل محمد بن يزيد عن المازنى اتهامه للكسائى زعيم المدرسة الكوفية بأنه أفسد اللغة حيث قال: " قدم الكسائى البصرة، فأخذ عن أبى عمرو، ويونس، وعيسى بن عمر علماً كثيراً صحيحاً ثم خرج إلى بغداد فقدم أعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئاً فاسداً فخلط هذا بذاك فأفسده"(١).

وذلك لأن الكسائى رأى أن تلك القبائل لا يصح إغفالها، فقد ثبت أن الكسائى خرج إلى البصرة ولقى الخليل وجلس فى حلقته ثم قال للخليل: من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال: من بوادى الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات، وحل محله يونس فجرت بينهما مسائل أقر له يونس بها وصدره فى موضعه (٢).

أما المناظرة المشهورة والتى انتصر فيها الكسائى على سيبويه (فإذا هو إياها أو فإذا هو هى) فالأولى للكسائى والثانية لسيبويه فقد اتهم الكسائى بأنه كان مخطئاً، وأن الصواب كان فى رأى سيبويه.

هذا ما ارتضاه البصريون، وُرّد بأن الكسائى زعيم المدرسة الكوفية وقد توسعت هذه المدرسة فى الأخذ عن مصادر من اللهجات العربية – كثيرة قد أهملتها المدرسة البصرية، والحق الذى يجب أن يقال فإن علماء المدرسة الكوفية كانوا أشد احتراماً لكل اللهجات العربية، فلم يتنكروا أو يهملوا واحدة منها: فمما لا شك فيه، أن أى لهجة من تلك اللهجات تمثل بحرا زاخراً من اللغويات لا يجوز لنا إهداره، حيث أمدت هذه اللهجات (العربية الفصحى) بروافد غنية أضافت إلى اللغة، وكان لن يضير البصريين الأخذ من أصحاب هذه اللهجات حتى ولو كانت مخالفة للهجة قريش بدلا من رميهم لها بالشذوذ، والرداءة أو تخريجها على الضرورة التى ربما لا تحتملها؛ لأنه كما علل ابن جنى – " الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ " (٣).

وقد دفع احترام الكوفيين لكل لهجات القبائل العربية، إلى الاعتداد بالقراءات حيث إن هذه القراءات تعد وجوها مختلفة للهجات العربية ومن هذه اللهجات المتمثلة فى القرآن الكريم

---

(١) ينظر: أخبار النحويين صـ ٤٤ ترجمة أبى زيد.

(٢) ينظر: بغية الوعاة صـ ٣٣٦.

(٣) الخصائص ١٢/٢.

لهجة بنى يربوع[1] وهى كسر ياء المتكلم المضاف إليها جمع المذكر السالم فى حالة الوصل قال تعالى مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ [2] وهذه اللهجة قرأ بها أبو عمرو، وحمزة [3]، وأجازها الفراء[4] ، وقطرب[5]، وابن جنى[6]، والأنبارى[7]، والهمدانى[8]، والسمين[9]، الحلبى[10]، وقال عنها القاسم بن معن[11]: إنها صواب.

فى حين ذهب علماء البصرة إلى أنها لم تسمع من أحد من العرب قاله الأخفش [12]، ولم يكتف الزجاج بذلك بل قال جازماً أنها عند جميع النحويين رديئة مرذوله [13]، وذكر النحاس أن كتاب الله لا يحمل على الشذوذ[14].

❁❁❁

(١) ينظر: الارتشاف ١٨٤٨/٤ – الخزانة ١٥٨/٢.

(٢) إبراهيم آية (٢٢).

(٣) ينظر : النشر ٢٩٨/٢ – الإتحاف ٢٧٢، الكشف ٦٢/٢، الفريد ١٥٨/٣، وقرأ بها يحيى بن وثاب، – والأعمش – ينظر : المبسوط ٢٥٦ – السبعة ٣٦٢ – الاتحاف صـ٢٧٢ – والمغنى فى القراءات ٢٩٤/٢.

(٤) هو القاسم بن معين بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود الصحابى من علماء الكوفة ت سنة١٧٥هـ وقيل ١٨٨هـ – ينظر: بغية الوعاة ٢٦٣/٢.

(٥) النشر ٢٩٨/٢ – المغنى فى القراءات ٢٩٤/٢.

(٦) معانى القراء ٧٦/٢.

(٧) المساعد ٢٧٨/٢ – المغنى فى القراءات ٢٩٤/٢.

(٨) المحتسب ٤٩/٢.

(٩) البيان ٥٧/٢.

(١٠) الفريد ١٥٨/٣.

(١١) الدر المصون ٢٦١/٤.

(١٢) معانى الأخفش ٥٩٩/٢.

(١٣) معانى الزجاج ١٥٩/٣.

(١٤) إعراب القرآن ٣٦٨/٢.

۞ التحول اللغوى، والتطور اللهجى عبر العصور المختلفة :

اتسعت رقعة اللغة العربية بعد الفتوحات الإسلامية، حيث بدأت الهجرات العربية إلى المناطق المفتوحة، ومع ازدياد الهجرات مهد ذلك لانتشار اللغة العربي، فقد خرجت بطون كثيرة من القبائل العربية إلى مناطق مختلفة من مصر، والشام، والعراق، وإيران. حيث توجد جماعات عربية تعيش قبل الفتح فى بادية الشام، والعراق، ولكن مع فرض الهيمنة الإسلامية توغلت هذه القبائل واستقرت، حتى اختلط العرب الوافدون مع السكان الأصليين فى هذه المناطق مما جعل تعريب الشام والعراق أمراً سهلاً حيث إن اللهجات الآرامية المختلفة كانت تسود الحياة اللغوية فى تلك المناطق، والآرامية لهجة قريبة من اللغة العربية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية [١].

والجدير بالذكر أن العرب المهاجرين إلى تلك المناطق ينتمون إلى قبائل مختلفة كبكر، وتميم، وعبد القيس، والأزد [٢] وغيرهم الذين سكنوا الريف الإيرانى فقد علّموا الإيرانيين اللغة العربية، وتعلم كثير منهم اللغة الفارسية مما جعلهم ينضمون إلى جيش أبى مسلم الخراسانى[٣].

والعرب من بداية الحكم الأموى يمثلون طبقتين:

أولهما:- الطبقة الارستقراطية المترفة والتى يعتمد من ينتمى إليها على أصله البدوى، وعلى قدرته على التحدث بالعربية كأحد أبناء البادية.

الثانية:- وهى الطبقة الوسطى أو الشعبية حيث ما زالت هذه الطبقة مرتبطة قليلاً أو كثيراً باللغات التى سادت منطقتها قبل الفتح فالقبطية هى لغة الشعب المصرى وقتذاك، والآرامية فى الشام والعراق، والبربرية فى بلاد المغرب، والفارسية فى إيران.

ومن الملاحظ أن التحدث بطلاقة باللغة العربية الفصحى كان دليلاً على الرقى الاجتماعى بينما استخدام اللغات واللهجات الأخرى دليل على الضعة الاجتماعية – يدلك على ذلك أنه لما قدم أحد الولاة البلد التى ولى عليها أمر كاتبه بقراءة عهده وكان لحاناً فقال: أيها الناس إن الأمير برئ مما تسمعون من هذا اللحن [٤].

---

(١) ينظر: علم اللغة العربية صـ ٢٤١ – ٢٤٢.

(٢) ينظر: فتوح البلدان صـ ٤٠٥ – ٥٨٤.

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) ينظر: فتوح البلدان صـ ٦٠١.

بينما يدل على أن اللحن كان منتشراً عبر العصور ومقرونا باللهجة العامية ولهجة الشعوب – وقد دفع هذا الأمر سادة البيت الأموى إلى إرسال أبناءهم إلى البادية ليشبوا على استخدام العربية فى رحاب المدرسة البدوية، والتى هى خاتم الفصحى.

وأقبل كثير من الأعاجم على العربية ليس لمجرد التعبير بها عن مطالبهم اليومية بل لكى يرتفع الأعجمى فى المجتمع فيحصل على عمل فى الدواوين، أو يتقلد منصبا مرموقاً فى الدولة.

والتحول اللغوى سواء فى لغة الكتابة أو لغة المشافهة حدث على مدار أجيال متعاقبة؛ وذلك لأن دخول سكان المناطق المفتوحة فى العهد الإسلامى، جعل لديهم الرغبة الحقيقة فى فهم القرآن الكريم وتعاليمه وأحكامه، وأول مطلب لدراسته وفهمه تعلم لغته بدقة تمكنهم من دراسته وفهمه فهما صحيحا وهكذا بدأ (المجتمع الأعجمى) فى تعريب نفسه من أجل القرآن حتى صار منهم أشهر العلماء الذين لهم باع فى اللغة والنحو، ولكن ما يلفت الانتباه، ويوقظ الأذهان أن المناطق الجديدة المفتوحة اختلفت فيها اللهجات بين السكان الأصليين وذلك لاختلاف لهجات القبائل الوافدة إليها قال الجاحظ " وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر " [1].

وعلى مر القرون الثانى، والثالث، والرابع الهجرى ظلت اللغة الفصحى فى شد وجذب بين طبقتى المجتمع العربى فالأمويون كما ذكرت كانوا مرتبطين بالبادية مؤمنين بتنشئة الأبناء فى بيئة لغوية بدوية وكذلك العباسيون والذين شهد عصرهم أكبر نهضة علمية عرفها تاريخ اللغة عبر العصور، والشاهد عليها نشاط حركة التأليف والترجمة مما جعل مكتبة " دار الحكمة " تكتظ بالمؤلفات العديدة فى جميع المجالات وخاصة اللغوية، وعلى الرغم من إيمانهم الشديدة بضرورة إجادة أبنائهم للعربية إلا أنهم لم يكونوا مرتبطين عاطفيا بالمجتمع البدوى لذا رأينا الأعراب فى قصور المدن يعلمون اللغة لأبنائها.

ومن الأدلة التى تبرهن على أن الفصحى كانت فى هذه العصور هى لغة المثقفين، أنهم لو كانوا يتحدثون باللهجة العربية المولدة لما لُوحظت بعض الأخطاء فى كلامهم من أمثلة تلك الأخطاء

(١) ينظر: البيان والتبين ١/١٨٠.

ما روى عن حماد الراوية أنه قال عن نفسه " إنى رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها"[1] وما روى عن الفراء من أنه لحن بمجلس هارون الرشيد واعتذر قائلا: إن اللحن عند سكان المدن كالإعراب عند أهل البادية. واعلم أن الخلط فى الحالات الإعرابية كان وارداً بين طبقة المثقفين فكان يقول أحدهم (أن نقم) بالجزم بدلا من أن نقوم بالنصب [2]. أما السواد الأعظم من سكان الإمبراطورية الإسلامية كانوا يتفاهمون (بالعربية المولدة).

كيف بدأ التحول اللغوى فى مصر ؟

ذكرت فيما سبق أن التعريب بدأ بالفتوحات الإسلامية للأمصار والبلدان فى العالم ومنها مصر والتى تلا فتحها الهجرات البشرية من القبائل العربية فذابت فى أهلها حتى صاروا منهم، ومن أهم وأشهر هذه القبائل التى هاجرت إليها فى عهد عمر بن الخطاب قبيلة قضاعة فهى تمثل أكبر تجمع قبلى وكان التهجير لغرض سياسى عرفه التاريخ الإسلامى.

وهذه القبيلة مختلف فى نسبتها إلى عرب الشمال وعرب الجنوب قال ابن حزم: وأما قضاعة فمختلف فيها، إما هو قضاعة بن معد ابن عدنان، وإما هو قضاعة بن مالك بن حمير وبلاد قضاعة متصلة بالشام، واليونان والأمم التى بادت ممالكها بغلبة الروم عليها، وببلاد عدنان، ولا تتصل ببلاد اليمن أصلا [3] وقيل إن أغلب الظن أنها من أصل جنوبى، وأنها قد هاجرت مع تلك القبائل الجنوبية إلى الشمال بعد انهيار سد مأرب فتعربت بعربية الشمال، الأمر الذى جعل اللغويين يؤكدون على إعراضهم عن الاستشهاد بلهجتها [4].

وجاءت بعد ذلك الأسرة الحاكمة الأموية لتحدث التوازن المطلوب فى مصر فهجرت قبائل عربية من الشمال والجنوب لتواصل عملية التعريب وهو إجراء اتخذه الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٩ هـ قال المقريزى: " وكان نزول سليم وعدة قبائل من قيس فى أرض مصر سنة تسع

(١) ينظر: طبقات الشعراء صـ ٥ (ط أوربا) – تاريخ بغداد ١٤٥/١٣ – الأغانى ٧١/٦ (دار الكتب).

(٢) ينظر: العربية صـ ٦٨ – ٧٠.

(٣) ينظر: جمهرة الأنساب العرب صـ ٨.

(٤) ينظر: علم اللغة العربية صـ ٢٧٣.

ومائة... ولم يكن بأرض مصر أحد من قيس قبل ذلك إلا من كان من فَهْم وعَدْوَان فإنهما من قيس " (١).

واستمرت جسور الهجرات ممتدة بين مصر وعرب الشمال فى العهد الطولونى قال المقريزى: " كانوا ينزلون اليمامة وقدموا مصر فى خلافة المتوكل على الله أعوام بتسع وأربعين ومائتين فى عدد كثير، وانتشروا فى النواحى، ونزل طائفة منهم بأعلى الصعيد وسكنوا بيوت الشعر فى براريها الجنوبية وأوديتها (٢). وكذلك نزلت فى هذا العهد قبائل ربيعة (٣).

وفى العهد الفاطمى هاجرت إلى مصر قبيلة (جهنية) وهى من قبائل اليمن، ولها بطون كثيرة، وبنوا هلال وسليم، فبنو هلال فى جبل غزوان عند الطائف، وبنو سليم مما يلى المدينة وكانوا يجوبون قفر الحجاز ونجد (٤).

وفى عهد الأيوبيين نزحت ثعلبة وبعض جرهم إلى مصر، وذلك بعد ما فتح صلاح الدين بلاد غزة، وأعادها من أيدى الفرنج إلى المسلمين (٥).

وكل هذه القبائل التى نزحت إلى مصر عبر العصور المختلفة قد سكنت شمال مصر وجنوبها حتى أسوان، بيد أن المملكة النوبية كانت بعيدة عن موجة الهجرات وبالتالى عن عملية التعريب التى عرفتها كل مناطق مصر – ومملكة النوبة كانت متحدة عاصمتها دنقلة وظل أهلها وثنيين حتى القرن السادس الميلادى، عندما انتشرت المسيحية بين النوبة والبجة، ولم تتجاوز الجيوش العربية حدود هذه المملكة. ثم ارتبطت النوبة مع مسلمى الشمال بمعاهدة تسمى بـ (البقط) تنص على عدم إقامة العرب فى النوبة مقابل التزامات أخرى يلتزم بها النوبيون واستمر الحال على ذلك حتى صارت منطقة تابعة لمصر، وقد دخل إليها الإسلام متأخراً (٦).

كل هذا دخل على مصر وأهلها الذين كانوا يتكلمون اللغة القبطية.

---

(١) ينظر: البيان والإعراب صـ ٦٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: البيان والإعراب ٤٤.

(٤) ينظر: العبر ٢٧/٦.

(٥) البيان والإعراب صـ ٥ – ٦.

(٦) ينظر: فتوح البلدان صـ ٣٩٦ – المواعظ والاعتبار ٢٠٠/١ – علم اللغة العربية صـ٢٧٨.

❁ العلاقات اللغوية بين الشعوب الإسلامية ومصر:-

إن الحديث عن اللغة العربية فى العالم الإسلامى منذ القرن الخامس وحتى العصر الحديث يلمس وتراً يأن بما آل إليه حال أجمل عروس يزين العرب والمسلمين وهى لغة القرآن، ففى هذه الفترة كان العالم العربى تحت قبضة حكم المسلمين غير العرب، فالحكام كانوا إما من الفارسيين، أو العثمانيين أو الشركسيين، على حسب كل إقليم فى المنطقة العربية.

وكل فترة من هذه الفترات كان الحكم فيها تحت السيطرة غير العربية، وكانت اللغة العربية تتلاشى شيئاً فشيئاً – ليحل محلها لغة الأسرة الحاكمة حتى صارت قاصرة على الدين ودراسة القرآن وعلومه، ولم تعد لغة الإدارة والسياسة، ففى عهد السلجوقيين كانت الفارسية هى اللغة الرسمية، وفى عهد العثمانيين كانت التركية هى لغة الإدارة والسياسة والطبقة الحاكمة وقبل ذلك كانت تسود فى مصر اللغة القبطية واليونانية ويبدو لى أن تاريخ مصر وما مر عليها من عصور حاكمة مختلفة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بولادة العامية المصرية المختلطة من عدة لغات بجانب الأصل الذى استمدت منه وهى الفصحى لذا قد احتلت اللهجة العامية مكانة بارزة بجانب الفصحى حتى صارت لغة التخاطب فى جميع الميادين كأروقة المساجد، والجامعات، والمعاهد، وفى المناقشات والاجتماعات، ووسائل الإعلام، حتى ظن الناس أنها هى التى تسمى اللغة العربية وقد ساعد على انتشارها طبيعة المجتمع المصرى فمصر خليط من مجتمعات عديدة وفدت إليه على مر الأجيال من جاليات يونانية، وأرمن، وسريانية، وإيرانية، ويهودية، وانجليزية بخلاف القبائل العربية والتى لها أثر كبير فى العامية المصرية والسؤال الذى يطرح نفسه، لماذا ظلت اللهجة العامية صامدة ثابتة فى مكانها لم تندثر ؟

أقول إن هذا الشبل من ذاك الأسد، فعندما أتأمل العامية أجدها نشأت فى أحضان الفصحى مع التأثر ببعض المفردات الأجنبية، حتى كونت لنفسها شخصية مستقلة عن اللغة الأم تختلف عنها نطقاً وكتابة وإن كانت حروفهما الأبجدية واحدة ومن ثم يتبين أنها رفد من روافد الفصحى وهذا هو سر قوتها وصمودها.

والواقع يؤكد لنا يوماً بعد يوم وعصراً بعد عصر – أن العامية أصبحت لغة المثقفين وغير المثقفين، الأغنياء منهم والفقراء كل طبقات الشعب، بيد أنهم يفرقون بين العامية المنقحة[1]، وغير المنقحة.

وأما الواقع العلمى فيؤكد لنا أيضا أن اللهجة العامية قد نالت قدراً من الاهتمام الذى نالته الفصحى فلم يألوا العلماء والباحثون جهداً فى دراسة هذه اللهجة وأسبابها، وخصائصها، ولكن ليس بنفس اهتمامهم بالفصحى لغة القرآن والكتابة، وإن كان لى تحفظ على كونها ما زالت لغة كتابة، فقد ظهرت الآن مؤلفات عديدة كتبت باللهجة العامية، وكذلك بعض الصحف الأسبوعية.

❁ سمات اللهجة العامية :

- غلبة الجملة الاسمية على الفعلية، فمثلا يقال فى العامية الشمس طلعت وفى الفصحى طلعت الشمس.
- تزاد الحاء فى أول الأفعال المضارعة والتى تدل على المستقبل بدل من السين وسوف وذلك نحو: حسافر بدلاً من سأسافر، حاذاكر، بدلاً من سأذاكر... وهكذا.
- يأتى اسم الإشارة بعد المعرف بـ (ال) فيقال الراجل ده بدلا من هذا الرجل، وأحيانا يقال: دا ابنى، ودى بنتى بدلاً من هذا ابنى، وهذه ابنتى ويقال الرجاله دول، والنسوان دولا بدلاً من هؤلاء الرجال والنسوان [2].

---

(١) العامية المنقحة هى الخالية من الألفاظ النابية، أما غير المنقحة وهى ما تنسب للطبقات الشعبية فمن يتكلم بها يسمى (ولد بيئة) على سبيل الإهانة وأنه دون المستوى.

(٢) ينظر: فى اللهجات العربية صـ ٣٣٩ – ٣٤٠ حيث يذكر د/إبراهيم أنيس أن اسم الإشارة للجمع قد اتخذ صورة تكاد تكون واحدة فى جميع اللهجات الحديثة، وهذه الصورة ليس لها علاقة بالصورة النموذجية لاسم الإشارة المعروفة فى الفصحى – (هؤلاء وأولئك) – ففى مصر يقال: دول، ودولا وفى الشام (هادول) وفى بلاد المغرب ذول وذولا.

وفى السودان " ديل " فربما كانت شائعة فى اللهجات العربية القديمة، وأنها انحدرت إلى اللهجات الحديثة من اللهجات القديمة.

- إسناد تاء التأنيث فى آخر فعلان ليختص بالمؤنث فيقال: سكرانة، وعطشانة، جوعانة، وكسلانة وبردانة، بدلاً من سكرى، وعطشى، وجوعى، وكسلى، وبردى ولشيوع هذه الألفاظ فقد أجازها المجمع [1].
- الاستفهام فى الفصحى له أدواته الدالة عليه، ولكن فى العامية استعيض عنه بالتنغيم فنقول مثلا: إنت فاطمة ؟ بدلا من أأنت فاطمة ؟.
- النفى كذلك فى الفصحى له أدواته المتعارف عليها، أما فى العامية فحل محله حرف (الشين) أو (مش) فعندما تنفى لتجيب أحد عن سؤاله هل سافر فلان أو حضر؟ أو جاء؟ تجيب ما سافرش، أو ماحضرش أو ماجاش. وتريد نفى التأييد ومشجاى ومش مسافر [2].
- السكون وإن كان علامة من علامات الوقف، إلا أنه صار علامة على الوصل فى العامية – والمراد به هو تسكين آواخر الكلمات حال الوصل بدون حركات الإعراب التى تميز الفصحى وذلك نحو: محمد يلعب الكرة، بتسكين أواخر الكلمات لا للوقف ولكن للوصل والسؤال الذى يطرح نفسه، هل سكون العامية له أصل فى الفصحى ؟ الجواب نعم وهذا ما سنعرفه فى المبحث التالى.

(١) وسيأتى الحديث عنها فيما بعد إن شاء الله.

(٢) ينظر: تثقيف اللسان ص ١١٦ – اللهجة العامية فى مصر دراسة تفصيلية صـ٢٨.

هل لسكون العامية جذور فى الفصحى ؟

السكون حقيقته ومعناه.

أنواع السكون.

سكون آخر المعرب حال الوصل وجذورها فى الفصحى.

الأدلة النحوية وسبل تخريجها المخالفة للقياس.

ليس دفاعا عن موقف القراء.

السكون حقيقته ومعناه:-

السكون ضد الحركة وهو علامة عدمية على خلو الصوت الصامت من الحركة، لذا جعلوه علامة على جزم الفعل المضارع الصحيح الآخر نحو: لم يضرب.

وعلى الرغم من ذلك فهو يؤدى وظيفة مهمة ومماثلة للحركة التى لها صفة وجودية، حيث إنهم جعلوا الضمة علامة على الرفع، والفتحة علامة على النصب، والكسرة علامة على الجر، فكذلك جعلوا السكون علامة على الجزم [1].

واعلم أن السكون فى حقيقة الأمر علامة أصلية على الوقف [2]، بل إنه أشهر أنواعه [3] ثم يليه: الروم ...

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات النحو والصرف صـ ٥٢.

(٢) الوقف فى اللغة: هو مصدر وقفت الدابة، ووقفت الكلمة وقفا من الفعل المتعدى. أما وقفت وقوفا فهو من الفعل اللازم. وأوقفت أى سكت، حكى الشيبانى: كلمتهم ثم أوقفت عنهم أى سكت. ومن ثم الوقف فى اللغة: الحبس والكف عن الفعل والقول – ينظر: اللسان مادة (و ق ف) – القاموس المحيط مادة (و ق ف) ٣٠٥/٣ – الجمهرة لابن دريد ١٥٦/٣ – التعريفات صـ٢٧٤

أما فى اصطلاح النحاة: هو قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة أو قطع الكلمة عما بعدها أو قطعها عن تحريك آخرها. ينظر: الارتشاف ٧٩٨/٢ – التصريح ١٧٥/٢.

(٣) وهى مجموعة فى النظم الآتى:

زيادة وحذف وإسكان ونقلٌ كذا التضعيف والنون والإشمام والبدل.

ينظر: حاشية الخضرى ٢٧٢/٢ – الكتاب ١٦٨/٤ – المقرب ٣٧٥/٢ – شرح الشافية للرضى ٢٧١/٢.

وفيما يأتى تعريف كل نوع بإيجاز عند النحاة والقراء:

❁ الروم هو الإتيان بالحركة خفية حرصاً على بيان الحركة التى تحرك بها آخر الكلمة فى الوصل ووصفه ابن يعيش، والشيخ زكريا الأنصارى بأنه صوت ضعيف، كأنك تروم الحركة ولا تتمها بل تختلسها تنبيهاً على حركة الوصل مع تحصيل بعض من الوقف ومعنى ذلك أن الروم، والاختلاس معناهما واحد وهو إنقاص الحركة الموقوف عليها بالتقليل من كميتها حتى تقرب من السكون، وأن الفرق بين هذه الحركة والحركة العادية فرق كمية لا أكثر ولا أقل.

ينظر: شرح المفصل ٦٧/٩ – شرح الشافية للرضى ٢٧٥/٢ – المناهج الكافية شرح الشافية ٣٠٧/٢ – التصريح ٣٤١/٢ – الخصائص ١٤٤/٢ –صـ– ١٤٥ – أسرار العربية صـ ٢٢٢.

.....

= أما عند القراء: فهو الإتيان ببعض الحركة وقفا، لذا ضعف صوتها لقصر منها، ويسمعها القريب المصغى دون البعيد، ويدركها الأعمى بحاسة السمع وإن كانت خفية غير تامة.

ينظر: الاتحاف صـ ١٠١ – الإضاءة صـ ٥٨ – تحبير التيسير صـ ٧٥.

ويشارك الروم الاختلاس فى تبعيض الحركة، ويخالفه فى أنه لا يكون فى فتح ولا نصب بل فى الوقف فقط أما الاختلاس ففى كل الحركات.

والثابت فى الروم أقل من الذاهب أما الاختلاس فالثابت فيه من الحركة أكثر من الذاهب.

وقدره ثلثى حركة أو نصف حركة قصيرة قال السيوطى: " تكون حالة متوسطة بين الحركة والسكون ". ينظر: الإتحاف صـ ١٠١ – الهمع ٢٠٧/٢.

الغرض من الروم:

١- تنبيه السامع على أن الموقوف عليه حرف متحرك فى الوصل وللدلالة على نوع تلك الحركة.

٢- التخفيف بحذف الحركة، لأن الحركة زيادة ثقيلة بالنسبة للسكون.

٣- لغرض نحوى أو صرفى مثال الأول بأن يتوهم أن الفاصلتين مجرورتان مع أنهما مرفوعتان فالأولى (فقير) خبر (إن) والثانية (عليم) مبتدأ فى قوله تعالى: رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ القصص آية (٢٤) – وقوله تعالى وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ يوسف آية (٧٦). ومثال الثانى بأن يفصل ببعض الحركة بين المذكر والمؤنث ويكون ذلك فى كل ما له صورة واحدة فى المذكر والمؤنث نحو: أنتَ، وأنتِ. ينظر: الكتاب ١٦٨/٤ الخصائص ٣٢٨/٢ – شرح المفصل ٦٧/٩ – إحياء النحو صـ ٩٠.

[1]والإشمام والتضـــعيف .....

۞ الإشمام: هو خلط حركة بحركة أو إشمام حرف رائحة حرف وقيل: هو النطق بحركة تامة مركبة من حـــركتين إفراداً لا شيوعا، وجزء الضمة مقدم وهو الأقل يليه جزء الكسرة وهو الأكثر، وعرفه الرضى " بأنه تصوير الفـــم عند حذف الحركة بالصورة التى تعرض عند التلفظ بتلك الحركة، بلا حركة ظاهرة خفية " والمراد بالحركة هنـــا الضمة الإعرابية أو البنائية غير العارضة. ينظر: التصريح ٢٩٤/١ – شرح الشافية ٢٧٥/٢ وبعيداً عـــن قـــول سيبويه الذى عبر عنه بالمضارعة فالمراد بالاشمام الخاص بالوقف هو وقف بالسكون تصحبه استدارة الشفتين للدلالة على الضمة التى كانت فى حال الوصل، ومن ثم فهو صورة ترى وليس صوتا أو حركة تسمع. ينظـــر: الكتـــاب ٤٧٧/٤ – ٤٧٨ – ١٧١/٤ – من أسرار اللغة صـــ ٢٣٦.

هذا هو رأى البصريين ووافقهم القرّاء بأنه إطباق شفتيك بعد تسكين الحرف، فيدرك ذلك بالعين ولا يسمع، وقيل أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظ بالضمة وبه أخذ أبو عمرو، وحمزة، والكسائى، وخلـــف، وعاصـــم وأبـــو جعفر. ينظر: النشر ١٢١/١ – سراج القارئ صـــ١٥٦.

والكوفيون يرون أنه الصوت الذى يسمع؛ لأنه بعض حركة، والروم هو الذى لا يسمع لأنه حركة غير متفوه بها. ولم يكتف الكوفيون بذلك بل وافقهم ابن كيسان على تسمية الروم إشماما والإشمام روما.

ينظر: النشر ١٢١/١ – الإضاءة صـــ ٦٠.

والإشمام يكون فى المضموم من المبنيات نحو قوله تعالى مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ – (الروم آيـــة ٤) – والمرفـــوع مـــن المعربات الله الصمد ينظر: الكتاب ١٧١/٤.

وعلامته: نقطة فوق الحرف كما وضعها الخليل. ينظر: النقط صـــ٢ – شرح المفصل ٦٦/٩.

۞ التضعيف وهو التثقيل قال سيبويه " ومن العرب من يثقل الكلمة إذا وقف عليها، ولا يثقلـــها فى الوصـــل " وذلك نحو (هذا خالد بإدغام الدال أى تشديدها والوقف بالتضعيف لغة سعدية تميمية، وبه قرأ عاصم قولـــه تعـــالى وَكُلّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ القمر آية (٥٣). ينظر: الكتـــاب ٢٩/١ – شـــرح المفـــصل ٦٧/٩ التـــصريح ٣٤١/٢ – الهمع ٢٠٧/٢ – الإقناع ٥٠٥/١ – لغة تميم ٣٥٣ – ٣٥٤ – القراءات القرآنية فى علـــم اللغـــة الحديث صـــ ١٥٠ – إبراز المعانى صـــ ٢٦٦.

الغرض منه:– إظهار أصل الحرف الأخير من حيث أنه محرك.

وعلامته:– رأس شين صغيرة ( ) – ينظر: شرح الـــشافية ٣١٥/٢ – حاشـــية الخـــضرى ١٧٧/٢ – الكتـــاب ١٦٩/٤ – المقنع صـــ ١٢٩.

شروطه:–

١– أن يكون الحرف الموقوف عليه متحركا.

٢– أن لا يكون الحرف الموقوف همزة؛ لأن الهمزة لا تدغم.

= ٣- ولا يكون ما قبله ساكنا حتى لا يجتمع ثلاث سواكن.

٤- وألا يكون حرف لين. ينظر: شرح المفصل ٧٠/٩ - الارتشاف ٨٠٩/٢ - التصريح ٣٤١/٢.

❁ النقل: هو نوع من أنواع الوقف يراد به تحويل الحركة من الحرف الأخير للكلمة إلى الساكن قبله. ينظر: الكتاب ١٧٣/٤ - شرح المفصل ٧٠/٩ - شرح الكافية الشافية ١٩٨٩/٤.

شروطه:-

١- أن يكون الحرف الأخير - الموقوف عليه - صحيحاً.

٢- أن يكون الحركة المنقولة فتحة.

٣- أن يكون ما قبله ساكنا.

٤- أن يكون قابلا للحركة

٥- أن لا يؤدى النقل إلى بناء معدوم النظير فى العربية أو نادر.

والجدير بالذكر أن الشرط الثالث خالفته بعض القبائل كقبيلة (لخم) وهى قبيلة يمنية تنسب إلى كهلان من القحطانية، وقد امتد أثرها إلى اللهجة العامية فى مصر والسودان فعندما يصلون يقولون ضربةٌ وعند الوقف (ضَرَبَهْ) ووردت هذه اللهجة فى الشعر:

ما زال شيبان سديداً رهصهْ حتى أتانا قرنهْ فوقصهْ

ينظر: الكتاب ١٧٣/٤ - سر صناعة الأعراب ٣١/١ - شرح ابن عقيل ٤٠١/٢ - التصريح ٣/٢.

الغرض منه التخلص من الساكنين أو الدلالة على حركة الإعراب الساقطة أو هما معا، وذلك يتحقق بنقل الضمة والكسرة وليس الفتحة فقط.

ينظر: شرح المفصل ٧١/٩ - الهمع ٢٠٨/٢.

(١) والإبـــــــــــدال والحـــــــــــذف .. ..

خامساً:- الإبدال مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه. وفى الاصطلاح: جعل حرف مكان حرف آخـــر مطلقا وذلك نحو اصطبر، بإبدال التاء طاء والأصل اصتبر. ينظر: اللسان مادة (ب د ل) – شرح المفصل ٩/٧٠.

أنواعه:-

١- إبدال للإدغام بأن يجتمع حرفان متماثلان أو متقاربان فيتم إدغامهما وهذا النوع خاص بعلم القراءات.

٢- الإبدال المجرد، ويشتمل على عدة أنواع :

أ- الإبدال القياسى، أو الضرورى، وحروفه التى تبدل من غيرها مجموعة فى جملة (هدأت موطيا) ومن يتركـــه يقع فى مخالفة صرفية.

ب- الإبدال الشائع، وهو غير ضرورى، ولكنه واقع ومنتشر فى كثير من اللـــهجات كالفحفحـــة، والعنعنـــة، والكشكشة... الخ

ومن أراد الاستزاده عليه الرجوع إلى: شرح المفصل ٩/٧٠ – الأمـــالى الـــشجرية ١/٣٨٠ – ٣٨١ – شـــرح الشافية ٢/٢٧٤ – ٣١٧ – ٢٨٠ – أسرار العربية ص٤١٣ – التصريح ٢/٣٤٣ – الهمع ٢/٢٠٥.

سادساً:- الحذف. يحذف أوجه كثيرة عند العرب وسأذكرها إجمالا، فالحذف إما أن يكون فى الجملة، أو المفرد، أو الحرف، أو الحركة، يقول ابن جنى " وليس شئ من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكليف علـــم الغيب فى معرفته ". ينظر: الخصائص ٢/٣٦٠.

أما الجملة فنحو قولك: خير مقدم أى قدمت خير مقدم بحذف الفعل والفاعل، وكقوله تعـــالى: فقلنـــا إضـــرب بعصاك الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عينا أى فضرب فانفجرت.

وأما :- حذف المفرد:- وأما حذف المفرد فعلى ثلاثة أوجه: اسم وفعل، وحرف فأما حذف الاسم فهـــو علـــى أوجـــه كثيرة فى كل أبواب النحو لذا سوف أذكر أمثلة لبعض هذه الأوجه للتوضيح فقط فمثلا ورد حذف الاســـم إذا وقـــع مبتدأ فى نحو قوله تعالى : كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ الأحقاف آيـــة (٣٥) – أى ذلك أو هذا بلاغ.

ومن حذف الخبر قوله تعالى "طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ" محمد آية (٢١)- أى: أمرنا طاعة وقـــول معروف. ومـــن حذف المضاف قوله تعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ يوسف آية (٨٢)- أى واسئل أهل القرية، ومن أمثلة حذف المـــضاف إليه كقوله تعالى مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ الروم آية (٢)- أى من قبل ذلك ومن بعده، وغير ذلك مـــن المواضـــع فى حذف الاسم كثيرة فى أبواب النحو العربى.

أما حذف الفعل فهو على وجهين:

= أحدهما:- أن تحذفه مع فاعله نحو: زيدا ضربته، والتقدير ضربت زيدا، فلما أضمرت (ضربت) فسَّرته بقولك: ضربته. وقولهم: المرء مقتول بما قتل به، إن سيفاً فسيف، وإن خنجرا فخنجر، أى إن كان الذى قتل به سيفا فالذى يقتل به سيف فكان واسمها وإن لم تكن مستقلة فإنها تعتد اعتداد الجملة كما ذكر ابن جنى فى الخصائص ٣٧٩/٢.

الآخر:- أن يحذف الفعل وحده وذلك يكون بانفصال الفاعل عنه مرفوعا به نحو قوله تعالى (إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ) الانشقاق آية (١).

ثالثا:- حذف الحرف، وهو على وجهين:

أحدهما:- حذف حرف من نفس الكلمة وينقسم هذا النوع من الحذف إلى قسمين:

أحدهما:- المطرد وهو ما جاء لعلة تصريفية كحذف الواو من (قل) و (بع) لالتقاء الساكنين أو لعلة نحوية نحو: لم يرم بحذف حرف العلة لدخول الجازم عليه.

الآخر:- غير المطرد وهو ما ليس له ضابط ولا علة وإنما يأتى اعتباطاً كحذف الواو من ابن، واسم، والياء من يد، والأصل: بنو، سمو، يدى. ولهذا النوع من الحذف صور متعددة يعرفها جيدا المتخصصون.

الوجه الآخر:- حذف حرف زائد على الكلمة مما يجئ لمعنى وذلك كحذف التاء فى قوله تعالى: "إقام الصلاة" الأنبياء آية (٧٣) – أى إقامة – وحذف ألف ضمير الغائبة فى الوقف لغة لطئ – وقيل اللخم – وذلك بقولهم : والكرامة ذات اكرمكم الله به – يريدون (بها) وحذفها أيضاً الشاعر عامر بن جؤين الطائى قائلا:

فلم أرُ عليها خُباسة واجد ونفتهتُ نفسى بعد ما كدتُ أفعلهُ

أى أفعلها، فحذفت الألف وألقيت حركة الهاء على اللام .

فإنى قد رأيت بدار قومى نوائب كنت فى لخم أخافه

والأصل: أخافها، حذفت الألف وألقيت حركة الهاء على التاء.

وحذفت التاء فى نحو " كيف الإخوة والأخوات" يرى الدكتور إبراهيم أنيس – فى كتابه اللهجات العربية ١٢٤ – أن الهاء هنا ليست مبدلة من التاء، بل هى هاء السكت، أما التاء فى (البنات) فقد حذفت " وهذا رأى يخالفه الصواب؛ لأن القبيلة البدوية طالما اشتهرت بحيفها وجورها على أواخر الكلمات، وطئ قبيلة بدوية كقبيلة عقيل التى تقول فى الفرات (الفراه) – قاله ابن جنى فى محتسبه ١٤٣/١ – وقد شاع فيها الحذف كما شاع فى طئ. ومما يؤكد تلك اللهجة ويعز بها قراءة نسيت للكسائى والبزى (هيهاه هيهاه) بإبدال التاء هاء. وقيل ه هاء السكت.

وخرج بعض النحاة هذه الشواهد على الضرورة، بيد أن هذا الكلام محجوج بنقل الرواة حيث حكى عن بعض العرب.

ينظر : الإنصاف ٣٣١/٢ – الجمهرة ٢٣٤/١ – الهمع ٢٦/٢ – الدرر اللوامع ٢٣٣/٢ – التصريح ٣٤٣/٢ – حاشية الصبان ٢٠٥/٤ -٢٠٦ – شرح المفصل ٤٥/١٠.

رابعاً:- حذف الحركة، فعندما تصل الكلام تجرى الأشياء على أصولها مكتملة الأركان، فتأخذ كل حركة ما تطلبه من الاتمام والكمال، وعندما تريد أن تقف تحذف وتسكن وذلك نحو محمدْ يذاكرْ دروسهْ – بحذف الحركة لا نقلها بدلاً من دروسه وسيأتى الحديث عنه بالتفصيل.

علامة السكون [1]:-

اختلف النحاة فى العلامة الرامزة للسكون فقيل: هى الخاء وتكتب فوق الحرف هكذا (خ) اختصاراً لكلمة خف أو خفيف ونسب هذا القول لسيبويه [2] ولقد بحثت فى كتابه فلم أجده.

وقيل: هى رأس جيم أو ميم اختصاراً لكلمة (أجزم) وقد نسب هذا القول لابن هشام [3].

وبناء على هذا الخلاف فلقد وجدت عند قراءتى فى (مصحف دار الصحابة فى القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة)[4] تحت عنوان علامات الوقف ومصطلحات الضبط أن رمز (م) يفيد لزوم الوقف ورمز (ج) يفيد جواز الوقف، ورمز (حـ) للدلالة على سكون الحرف مما يدل على أن القول المنسوب لسيبويه هو الصحيح. والله أعلم.

والملاحظ من خلال اطلاعى لما تيسر لى من المصادر والمراجع أن السكون لم تكن له علامة خطية فى القرن الأول الهجرى، حيث إن المصاحف العثمانية قد دونت فى سنة خمس وعشرين أو ثلاثين هـ بالخط الكوفى؛ لأن الكتابة العربية لم تكن قد عرفت بعد الضبط بالشكل حتى جاءت محاولة نصر بن عاصم الليثى للتنقيط، وأبو الأسود الدؤلى (ت ٦٩ هـ) لضبط المصحف الشريف بالشكل [5].

❁ أنواع السكون :-

١- سكون الجزم ٢- سكون الوقف ٣- سكون التخفيف

ينقسم سكون التخفيف إلى نوعين :

١- سكون واجب وهو كل فعل ماض اتصلت به تاء الفاعل سواء مضمومة أم مفتوحة أم مكسورة وذلك نحو: قمتُ، قمْتَ، قمْتِ، فتسكين آخر الفعل هنا واجب حتى لا يلتقى أربع حركات متواليات.

---

(١) منار الهدى صـ٦.

(٢) ينظر: التصريح ٢/٣٤٠ - ٣٤١.

(٣) ينظر: أوضح المسالك ٤/٣٤٢: ٣٥٤ - التصريح ٢/٣٤٠-٣٤١.

(٤) صـ ٦٠٨ وجاء هذا المصحف فى القراءات العشر المتواترة بموافقة الأزهر الشريف.

(٥) قصة الكتابة العربية صـ ٢.

٢- سكون جائز ويؤتى به للتخفيف، وهذا ما كانت تحرص عليه بنو تميم. ولكن قبل الخوض فيه لابد أن تتحدث عن نوع الحرف المراد تسكينه : وهو على نوعين [١].

النوع الأول:- ما كان أصله السكون، ويأتى أولاً، وحشوا، وطرفا. فالأول تلحقه ألف الوصل وتكون فى الاسم كابن وابنة، وامرئ وامرأة، واثنين، واثنتين، واسم، واست، وايمن، وايمن، والمصادر نحو: انطلاق، واستخراج، والأفعال نحو: انطلق واستخرج، والحروف نحو (ال) للتعريف، والثانى نحو: الكاف فى بكر، والعين فى جعفر. والثالث نحو: الدال فى قد، واللام فى هل.

النوع الثانى:- ما كان أصله الحركة فيسكن وهو على ضربين:

الأول:- ما كانت حركته بناء. الثانى:- ما كانت حركته إعراب.

وحركة البناء إما أن تكون على الحرف المسكن فى كلمة مفردة ويسمى بالمتصل وهو ما كان ثلاثيا مضموم الثانى أو مكسوره مفرد أو جمعا، وقيل الجمع أولى فرارا من توالى ثقلين نحو: ظَرُف، نَدُس، رَجُل، عَلِم، إبِل ونَهِم، كَبِد، وفَخِذ، وعُنُق، ورُسُل فعند التخفيف يقال: ظرف، نَدْس، رَجْل، عَلْم، إبْل، نَهْم، كَبْد، فَخْذ [٢] عُنْق، ورُسْل، وقد قرئ بها فى قوله تعالى قَالَتْ رُسُلُهُمْ [٣]،أرْسَلْنَا رُسُلَنَا [٤]رُسُلُكُمْ [٥] ومثله قول رجل من أزد السراة:

عجبتُ لمولودٍ ولَيْسَ لهُ أبٌ وذى ولدٍ لم يَلْدَهُ أبوان [٦]

---

(١) ينظر : الخصائص ٣٣٣/٢ وما بعدها.

(٢) ينظر: قاصرات الطرف صـ ٢٢٨ - ٢٢٩ - السناء فى تصريف الأسماء ص٢٥.

(٣) إبراهيم آية (١٠) بالإسكان قراءة أبى عمرو موافقة اليزيدى والحسن ينظر : الإتحاف صـ ١٨٥.

(٤) المؤمنون آية (٤٤)، قراءة الإسكان عن أبى عمرو تنظر فى المهذب فى القراءات وتوجيهها ١، ١٠٥. وقرأ الباقون بالضم.

(٥) غافر آية (٥٠) ينظر : الإتحاف صـ ١٨٥.

(٦) البيت من الطويل، ويروى : (ألا رب مولود).

الشاهد فيه قوله (لم يلده) أراد (لم يلده) ثم أسكن اللام للضرورة - عند النحاة - تشبيها بـ (كتف) التقى ساكنان، فحرك الثانى بالفتح؛ لأنه أخف وأشبه بما قبله من الحركات - وعقب السيرافى فى تقريراته على الكتاب ٣٤١/١ أفهم فى التسكين إنما هربوا من الكسرة كرهوا التحريك بما قد هربوا منه.

ينظر : اللمع ١٩٩/١ - الأصول ٢٨٩/١ - الشافية ٢٢/٤ - الهمع ٥٤/١.

وإما أن تكون فى كلمتين فيسكن، ويسمى المنفصل الذى يشبه المتصل وذلك كقراءة [1] بعضهم فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ [2] وهو يشبه دابةً وخدْب، ومثله قراءة بعضهم [3]إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ [4] فقوله (تق) بوزن (علم) فكما أسكنت العين فى (علم) أسكنت كذلك فى (تقْ)[5].

وجاء مثله فى الشعر كقول أحدهم:

ومن يَتَّقْ فإن الله مَعْهُ ورزقُ اللهِ مُؤْتابٌ وغادِ [6]

ومثله قول الراجز:

فبات مُنتصبًا وما تكرد سَا إذا أحسَّ نبأةً تَوَجَّسَا [7]

ومثله ما أنشده أبو زيد:

قالت سليمى اشترْ لنا سويقا وهاتِ برّ البخس أو دقيقا [8]

---

(١) يادغام تام قرأ البزى (هيتلقف) بتشديد التاء والكاف وقرأ حفص بسكون اللام وتخفيف القاف (تلقف)، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف (تَلَقَّف) ينظر : الاتحاف صـ ٢٨٧.

(٢) الأعراف من آية (١١٧).

(٣) ينظر : معجم القراءات ٣٣٤/٤ – الكشاف ١٧٨/٢ – الخصائص ٣٣٩/٢.

(٤) يوسف من آية (٩٠).

(٥) ينظر : الخصائص ٣٣٩/٢ – ٣٤٠.

(٦) البيت من الوافر، ولم يعرف قائله.

الشاهد فيه قوله : (ومن يتق) بإسكان الفعل.

ينظر : الخصائص ٣٠٦/١ – ٣١٧/٢ – شرح الشافية للرضى ٢٩٩/٢.

(٧) الرجز للعجاج – ديوانه ١٩٧/١، والشاهد فيه قوله (منتصبا) فسكنها وسيقت شاهداً على إجراء المنفصل مجرى المتصل من كلمتين، ويبدو من الوهلة الأولى أن أبا على لم يخالفه الصواب، ولكن علماء اللغة يرون أنه مصيب فى تقديره اللغوى حيث أراد بالمثال من كلمتين أن يمكن أخذ مقطعين منه على وزن الكلمة المفردة، وسوى فى ذلك بين ما زاد على ثلاثة، وبين المنفصل وهو ما كان من كلمتين، فالكلمة المفردة عنده هى التى تكون فى حال الوقف من مقطع مفتوح وآخر مغلق– شرح شواهد الإيضاح صـ٢٥٩ – الأصوات اللغوية صـ ٩٧ إبراهيم أنيس.

(٨) الرجز ينسب للعذافر الكندى. ينظر : الخصائص ٣٤٠/٢٠.

حيث سكن الفعل (اشترْ لنا) فى حال الوصل، والسكون للبناء إجراء المنفصل مجرى المتصل ومن ثم يتبين أن تتابع ثلاثة أصوات متحركة سواء أكانت كلمة مستقلة أم كانت جزءا من كلمة مستقلة، أم كانت من كلمتين، يجوز إسكان أوسط هذه المتحركات، بشرط أن تكون على مثقال ما يجوز إسكانه من الكلمات المفردة فى اصطلاحه أى على زنه، فَعُل، وفَعِل، وفِعِل، وفُعِل، وهى زنة الكلمات سبع، وفخذ، وكتف، وإبل، وضرب، وقد اشترط ذلك ليخرج ما كان مفتوح الوسط؛ فالعرب لا تسكنه لذا قال أبو على الفارسى فى النهاية " فأما حركة البناء فلا خلاف فى تجويز إسكانها فى نحو ما ذكرنا من قول العرب " [1].

سكون آخر الكلمة.

الثانى : ما كانت حركته إعراب: أما حركة الإعراب فمختلف فى حذفها[2] أو بمعنى آخر تسكينها فى حال الوصل –

---

(١) ينظر : الحجة ٦٣/٢ – أثر القراءات فى الأصوات صـ ٣٥٢.

(٢) الحذف على ثلاثة أنواع :

الأول :– حذف الحركة الإعرابية فقط وهذا ما سيأتى الكلام عنه باستفاضة.

الثانى :– حذف الحرف فقط كقول الشماخ :

لـه زَجَـلٌ (كَأَنَّـهُ) صَـوْتُ حـادٍ إذا طلـب الوسِـيقَةَ أو زَمِـيرُ

والأصل (كأنهو) بالمد ينظر : ديوانه ٣٦ – الجمهرة ١٤٨/٢.

ومثله قول رجل من باهلة :

أو مُعْبَرُ الظَّهْـرَ يُـنْبِى عـن وليتـهِ مـاجحّ رَبَّـه فى الـدنيا ولا اعتمـرا

والأصل (ربهو) بالمد ينظر : اللسان مادة (ع ب ر).

وكقول الأعشى :

ومـا لـه مـن مجـدٍ تليـدٍ ومالَـهُ من الـريح حَـظٌّ لا الجنـوب ولا الـصَّبا

والأصل (ما لهو) فى – الأولى – بحذف واو الاشباع ضرورة.

وما ذكره سيبويه ضعيف فى القياس، قليل فى الاستعمال عند ابن جنى ووجهه ضعف قياسه أنه ليس على حد الوصل ولا على حد الوقف، وذلك أن الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه، كما تمكنت فى قوله فى أول البيت الأول (لهو رجل) والوقف يجب أن تحذف فيه الواو والضمة جميعا، وتسكن الهاء فيقال : (كأنه) فضم الهاء بغير واو منزلة

بين منزلتى الوصل والوقف. وهذا موضع ضيق، ومقام زلخ، لا يتقيك بإيناس ولا ترسو فيه قدم قياس. وما ذكره الزجاج فى نحو هذا من أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، فهذا ليس بصحيح، ولكن ما أجرى من الوصل على مجرى الوقف يتضح فى النوع الثالث.

ينظر : ديوان الأعشى صـ ١٤ – الكتاب ٢٩/١ – ٣٠ – ٣١ – الخصائص ١٢٧/١ – ١٢٨. =

النوع الثالث :– حذف الحرف والحركة، كقول ليعلى الأحول الأزدى :

فبتُّ لدى البيت الحرام أخيلهُ ومطواىَ مشناقان (لَهْ) أرقان

وما روى عن قطرب من قول الشاعر :

وأشرب الماء ما بى نحوه عطشٌ إلاّ لأن (عيونَهْ) سيل واديها

وروى ابن جنى :

كالذئب وسْط القنةّ – إلا (ترهْ) تظنّهْ.

وأنشد أبو حزام العكلى :

لى والدٌ شيخ (قصُّهْ) غيبتى وأظنّ أن نفاد (عمرِهْ) عاجلُ

ينظر : الخصائص ١٢٨/١ – الجمهرة ١١٨/٢.

والمتتبع للضمير فى الأبيات السابقة يلاحظ أن الشعراء لم يمكنوا الكلمة من الحرف المحذوف – الواو أو الياء – حال الوصل وللنحاة فيها آراء : فقد ذهب الأخفش إلى أن سكون الهاء هنا هو لهجة لأزد السراة، وتبعه ابن جنى، والفارسى بيد أن سيبويه فيما يبدو قد أنكر أن تكون لهجة كما ذكر أبو حيان " ولم يحكها سيبويه " ويرى الزجاج أنها غلط من الشعراء والدليل على ذلك أنه قد جاء الحرف الأخير متحركا فى حال الوصل من قول شمير بن الحارث الضبى :

أتوْا نارى، فقلت مَنُونَ أنتم ؟ فقالوا : الجنّ قلت عِمُوا ظلاما

ينظر : الخصائص ١٢٨/١ – ١٢٩ – الحجة ٦٨/٢ – ٦٩ البحر المحيط ٥٠٢/٢ – ٤٩٩/٢.

ويرد ابن جنى قائلا : " فمن رواه هكذا فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف فإن مكث : فإنه فى الوقف إنما يكون (منون) ساكن النون، وأنت فى البيت قد حركته، فهذا إذاً ليس على نية الوقف، ولا على نية الوصل.

فالجواب أنه لما أجراه فى الوصل على حده فى الوقف، فأثبت الواو والنون التقيا ساكنين، فاضطر حينئذ إلى تحريك النون لإقامة الوزن. إذاً فهذه الحركة مستحدثة لم تكن فى الوقف، وإنما اضطر إليها فى الوصل. وأما من رواه (منون أنتم) فأمره مشكل. وذهب أكثر النحاة إلى أنه ضرورة.

ينظر : الخصائص ١٢٩/١ – ١٣٠ – ضرائر الألوس صـ ٨٢ – الخزانة ٤٠١/٢. =

والمراد بحركة الإعراب هى حركة (لام الكلمة) سواء أكانت معربة نحو (تعرفكم) أم مبنية كالماضى (خلط) – حيث إن الحركة علماً على الإعراب، لذا لا يجوز حذفها فى الفصحى عند أغلب النحاة، أما فى العامية فيعد سكون آخر الكلمة فى حالة الوصل سمة أساسية وخاصية من خصائصها، وقد عمت هذه الظاهرة الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج.

والسؤال هل لظاهرة السكون فى حال الوصل بالنسبة للغتنا العامية حذور فى الفصحى ؟ أقول نعم واعلم أن العامية ليست إلا امتداد للفصحى من حيث ترك الإعراب من آخر الكلمة وهذه قضية تشابك فيها السماع مع القياس والقراء، مع النحاة وإليك تفاصيلها كما يلى:

موقف القراء:–

=وإنصافاً للحق فقد ورد عن القراء العديد من القراءات على نمط الأبيات السالفة الذكر بتسكين الهاء المضمرة فى حال الوصل ومنها قوله تعالى : وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا عمران ١٤٥ – قرأها قالون والحلوانى عن هشام باختلاس الحركة فى (نؤته)، وقرأ آخرون بالسكون. ينظر – البحر المحيط ٧١/٣ – وقوله وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ آل عمران ٧٥ – قرأ أبو عمرو، وأبو بكر، وحمزة، والأعمش بسكون الهاء وصلاً فى (يؤده) وروى الكسائى أن لغة عقيل وكلاب التسكين والاختلاس أيضا ينظر البحر المحيط ٤٩٩/٢.

وقوله تعالى : أَرْجِهْ وَأَخَاهُ الأعراف ١١١ – قراءة عاصم بإسكان الهاء فى (أرجه) ينظر : الاتحاف صـ ٣٦ وعقب ابن خالويه أما من قرأ بالسكون فله وجهان: أحدهما: أنه توهم أن الهاء آخر الكلمة فأسكنها دلالة على الأمر، أو تخفيفا لمّا طالت الكلمة بالهاء. ينظر : الحجة لابن خالوية صـ ١٦٠ – تحقيق عبدالعال سالم مكرم.

وورد عن ابن عباس القراءة بسكون الهاء فى (ابنه) من قوله تعالى وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا هود ٤٢– وعقب ابن جنى وابن عطية، وأبو الفضل الرازى على تلك القراءة بأنها على لغة أزد السراة. ينظر : البحر المحيط ٢٢٦/٥.

ونقل ابن خالويه عن أبان بن تغلب إسكان (نحشره). ينظر : البحر ٢٨٧/٦ مختصر الشواذ صـ ٩.

من قوله تعالى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَىٰ طه ١٢٤ – وقرأ هشام بالإسكان، ينظر : البحر ٥٠٢/٨ – الاتحاف صـ ٣٦ قوله تعالى أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ البلد ٧ وقرأ هشام وأبو بكر بسكون الهاء فى (يره) ينظر : البحر ٥٠٢/٨ من قوله تعالى فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ الزلزلة ٧ – ٨ – وذكر أبو حيان أن الإسكان فى الوصل لغة حكاها الأخفش، والكسائى عن بنى كلاب وبنى عقيل ينظر : البحر ٥٠٢/٨.

فقد سمع منهم حذف الحركة فى كل فعل مضارع اتصل به ضمير الجمع للمخاطب والغائب [1] وذلك نحو قوله تعالى بأمركم[2] ويعلمكم[3]،ينصركم[4]، يشعركم[5]،بأمرهم[6]، نأمرهم [7] وفى الأسماء أيضاً نحو قوله تعالى فتوبو إلى بارئكم[8].

بالإسكان قرأ أبو عمرو [9]، وهى قراءة مروية عن السوسى[10][11]...

والدورى[12] فى إحدى روايته [13] عن اليزيدى [14] وعبدالوارث[1] وقد اختار أبو عمرو الدانى قراءة الإسكان عن أبى عمرو قائلا: والإسكان يعنى فى هذا الكلم أصح فى النقل وأكثر فى الأداء

---

(١) ينظر : الإتحاف صـ ١٧٨ – التذكرة صـ ٢٥٢.

(٢) البقرة من آية (٦٧ – ٩٣ – ١٦٩).

(٣) البقرة من آية (١٥١ – ٢٨٢).

(٤) آل عمران من آية (١٦٠) – محمد من آية (٧).

(٥) الأنعام من آية (١٠٩).

(٦) الأعراف من آية (١٥٧).

(٧) الطور من آية (٣٢).

(٨) البقرة من آية (٥٤).

(٩) ينظر : الحجة للفارسى ٦٢/٢ – شرح شعلة صـ ٢٦٤.

(١٠) السوسى : هو أبو شعيب صالح بن زياد السوسى الأهوازى (ت٢٦١هـ) تتبع قراءة أبى عمرو ولم ينشغل بغيرها، وأخذها عن اليزيدى ينظر : معرفة القراء ١٩٣/١– تقريب المعانى صـ ٢١.

(١١) تنظر القراءة عن طريق السوسى فى : الإتحاف صـ ١٧٨ – التذكرة صـ ٢٥٢.

(١٢) الدورى : هو أبو حفص محمد بن عمر الدورى البغدادى المقرئ الضرير صاحب الكسائي، أخذ القراءة عن عدة أئمة، ويعد أول من جمع القراءات (ت ٢٤٦ أو ٢٤٨هـ) ينظر : المقتنى فى سرد الكنى ٤٢٥/١ – تقريب المعانى صـ ٢١.

(١٣) ينظر الإتحاف صـ ١٧٨ – تقريب المعانى صـ ١٨٧.

(١٤) اليزيدى : هو يحيى بن المبارك بن المغيرة، الإمام البصرى أبو محمد العدوى المعروف باليزيدى، نحوى، ومقرئ، ثقة مشهور بالدقة، وحسن السماع، أخذ عن أبى عمرو وقد خلفه فى القيام بها، وأخذ عن حمزة أيضا توفى سنة (ت٢٠٢هـ) ينظر : طبقات القراء ٣٧٥/٢ – ٣٧٧.

وهو الذى أختاره وأخذ به [1] وأوافقه الرأى لعدة أمور:

١- أن الإسكان من طريق السوسى، هو أصح رواية، وأدق نقلاً لتوافره على قراءة أبى عمرو وتخصصه فيها.

٢- أن قراءة الإسكان – وهى القراءة الأولى المروية عن أبى عمرو فى هذا الموضع – لم تكن له وحده وإنما قرأ به الحسن فى قوله تعالى ويذرهم[2] أو يفو الذي بيده عقدة النكاح[3]، ومسلم بن محارب فبينهم[4]، فسيحشرهم[5]، فيعيدهم[6] والسلمى وبعولتهن أحق بردهن [7] وحمزة فى ألم ترى أن الله[8]، وبعضهم أطلق القياس فى كل راء يتبعها ضمير جمع المخاطب أو الغائب نحشرهم[9]، ويسيركم [10]، أنذركم[11][12]. هذه هى القراءة الأولى التى نسبت لأبى عمرو، وقرأ بها غيره.

---

(١) ينظر : النشر ٢/٢١٣.

(٢) الأعراف آية (١٨٦).

(٣) البقرة آية (٢٣٧).

(٤) النساء آية (١٧٢).

(٥) النساء آية (١٧٣).

(٦) البقرة آية (٢٢٨).

(٧) إبراهيم آية (١٩).

(٨) فاطر آية (٤٣).

(٩) الأنعام آية (٢٢).

(١٠) يونس آية (٢٢).

(١١) الأنبياء آية (٤٥).

(١٢) تنظر هذه القراءات فى المحتسب ١/١٠٩ وما بعدها – النشر ٢/٢١٢ وما بعدها – غاية الاختصار ٢/٤٠٨ وما بعدها – التبصرة صـ ٤٢١ وما بعدها – الغاية فى القراءات صـ ١٧٧ وما بعدها – حجة القراءات صـ ٩٧.

أما القراءة الثانية : اختلاس الحركة – وليس بالإسكان – وقد قرأ الدورى بها عن أبى عمرو فى المواضع السالفة الذكر [١]، وكذا روى عن السدسى [٢].

أما القراءة الثالثة: إبدال الهمزة الساكنة ياءً قرأ أبو عمرو (باريكم) دون الاعتداد بالحركة المقدرة،[٣] وروى عن الزهرى[٤] (بارئكم) بقلب الهمزة ياء مكسورة [٥]. وإذا كان هذا جائز فى بارئكم فغير مستنكر أن تكون البرية من برى الله الخلق بترك الهمزة. [٦]

القراءة الرابعة : الإتمام وهى قراءة الجمهور [٧]، ورويت عن الدورى [٨] أيضاً قال ابن زنجلة: وهى الصواب ليوفى كل حرف حقه من الإعراب [٩].

موقف النحاة :

ومما لا شك فيه أن تسكين آخر المعرب حال الوصل مخالف للقياس الذى يطرد فيه إتمام وإكمال الحركة لدلالتها على الإعراب والمعنى وأن إسكانها ملازم لحال الوقف ومن ثم أثارت قراءة

---

(١) ينظر : الاتحاف ١٧٨ – التيسير صـ ١١ – التذكرة صـ ٢٥٢.

(٢) ينظر : الاتحاف صـ ١٧٨.

(٣) ينظر مختصر القراءات الشاذة صـ ١٣ أوردها ابن خالوية عن الأشهب.

(٤) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى من ثقات التابعين ت (١٢٤ هـ) ينظر : غاية النهاية ٢٦٢/٢.

(٥) قال صاحب الإتحاف صـ ١٧٩ " لا خلاف عن أبى عمرو فى عدم إبدال همزة بارئكم معاً حال سكونها إلا ما انفرد به ابن علبون، ومن تبعه من إبدالها ياء ساكنة، قال فى النشر وهو غير مرضى؛ لأن سكون الهمزة عارض، فلا يعتد به، ويوقف عليه لحمزة بالتسهيل بين بين وإبدالها ياء على الرسم ضعيف.

وينظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٢٧/١ وقد أجاز هذه القراءة، وقال صاحب الدر المصون ٢٢٨/١ معقبا " من حق.. القارئ أن يسكن الياء، لأن الكسرة ثقيلة عليها، ولا يجوز ظهورها إ لا فى ضرورة الشعر ".

(٦) جامع البيان ٢٨٨/١.

(٧) ذكر ابن مجاهد فى السبعة صـ ١٥٥ أن ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائى جميعهم قرأوا بالكسر دون اختلاس ولا تخفيف.

(٨) ينظر : الإتحاف صـ ١٧٨.

(٩) الحجة لابن زنجلة صـ ٩٨.

أبى عمرو وغيره بالإسكان مشكلة كبيرة، وجدال واسع بين النحويين قديما وحديثا وكان لهم فيها آراء :

الرأى الأول: للخليل الذى أجاز قراءة الإسكان، وبفهم ذلك مما ذكره عنه سيبويه حيث قال : " وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم بـه "[1] أى أن الحركات مجرد وسيلة إلى تحقيق الأصوات فى أواخر الكلمات، وليس لها قيمة دلالية.[2]

الرأى الثانى : لسيبويه وهو يرى أن أبا عمرو قرأ بالاختلاس وليس بالإسكان حيث قال: " وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاساً وذلك قولك: يضربُها ومنْ مأمنكَ يُسرعون اللفظ ومن ثم قال أبو عمرو: "إلى بارئكم " ويدُّلك على أنها متحركة قولهم من مأمنَك فيبينون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون " [3] وقصد سيبويه أن أبا عمرو اختلس الحركة، فظنه الراوى سكن ولم يضبط [4].

وذكر أبو على الفارسى موافقا لسيبويه أن العباس ين الفضل الأنصارى [5] قال: سألت أبا عمرو: كيف تقرأ: إلى بارئكم مهموزة مثقلة، أو على بارئكم؟ فقال: قراءتى مهموزة غير مثقلة (بارئكم).

وقول سيبويه بالاختلاس فيما تتوالى فيه الحركات فيرى من يسمعه أنه قد أسكن ولم يكن يسكن توافق رواية العباس بن الفضل عنه التى ذكرها أنه لا يثقلها، وهذا القول أشبه بمذهب أبى عمرو؛ لأنه كان يستعمل التخفيف فى قراءته كثيرا.

---

(١) الكتاب ٣١٥/٢.

(٢) أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربي صـ١١.

(٣) الكتاب ٢٠٢/٤.

(٤) ينظر : البحر المحيط ٢٠٦/١.

(٥) هو العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد بن الفضل بن حنظلة، أبو الفضل الواقفى الأنصارى البصرى قاضى الموصل، كان من أكابر أصحاب أبى عمرو فى القراءة روى القراءة عرضا وسماعا عن أبى عمرو، وضبط عنه الإدغام (ت ١٨٦ هـ وقيل ١٩٥ هـ) ينظر : طبقات القراء ٣٥٣/١.

من ذلك ما رواه نصر بن [1] على عن أبيه أنه كان يقرأ ويعلمكم الكتاب[2] يلعنهم[3] يشم الميم والنون التى قبل الهاء الضم من غير إشباع وكذلك قوله تعالى عن أسلحتكم وأمتعتكم[4] يشم التاء فيها شيئا من الخفض وكذلك عن عبيد بن ثقيل [5] عن أبى عمرو أنه كان يشم الميم شيئا من الضم، والعين أيضا فى يوم يجمعكم[6] وكذلك الراء. من قوله تعالى وأرنا مناسكنا[7] لا يسكنها ولا يكسرها [8].

والذى دفع سيبويه – إلى القول بالاختلاس أنه لا يجيز إسكان المرفوع والمجرور فى غير الشعر يقول [9]: " وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور فى الشعر... وقال الشاعر:

رُحْتَ وفى رجْليْكِ ما فيهما وقد بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئزرِ[10]

ومما يسكن فى الشعر وهو بمنزلة الجرة إلا أن من قال فخذ لم يسكن ذلك، قال الراجز.

إذا اعْوَجَجْنَ قلتُ صاحِبْ قَوّمْ بالدَوِّ أمثالَ السَّفِينِ العُوّمِ [11]"

---

(١) نصر بن على بن على بن صهبان بن أبيه، أبو عمرو الجهضمى البصرى، روى القراءة عرضا عن أبيه (ت ٢٥٠ هـ). ينظر : طبقات القراء : ٣٣٧/٢

(٢) البقرة من آية (١٢٩) – تنظر القراءة فى : السبعة صـ ١٥٦.

(٣) البقرة من آية (١٥٩). تنظر القراءة فى : السبعة صـ ١٥٦.

(٤) النساء من آية (١٠٢). ينظر القراءة فى : السبعة صـ ١٥٦.

(٥) عبيد بن عقيل بن صبيح، أبو عمرو الجلالى البصرى، راو، ضابط، صدوق. روى القراءة عن أبان بن يزيد العطاء، وأبى عمرو بن العلاء (ت ٢٠٧). ينظر : طبقات القراء ٤٩٦/١.

(٦) التغابن من آية (٩).

(٧) البقرة من آية (١٢٨).

(٨) ينظر : الحجة ٦٤/٢.

(٩) الكتاب ٢٠٣/٤ – ٢٠٤.

(١٠) البيت من السريع وهو للأقيش الأسدى الشاهد فيه قوله (هَنْك) بإسكان النون فى الأصل وهذا جائز فى الشعر، ويروى (وقد بدا ذاك).

ينظر: الخصائص ٧٤/١ – ٩٥/٣ – المحتسب ١٧/ ١١٠، شرح المفصل ٤٨/١ – الهمع ٥٤/١.

(١١) من الرجز، وهو لأبى نخيله والمراد (بالدو) الصحراء فقد شبه الإبل فى الصحراء بالسفن.

الشاهد فيه تسكين باء (صاحبى) حال الوصل.

ينظر : الخصائص ٧٥/١ – ٣١٧/٢ – اللسان مادة (ع و م).

وقول امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غيْـرَ مُـسْتَحقبٍ إثمـاً مِـن الله ولا واغـل[1]

حيث سكن آخر الفعل المضارع " أشرب " حال الوصل.

وقد وافقه الأنبارى [2]، وأبو على الفارسى الذى قال: هذا كله على الاختلاس مستقيم حسن، ومن روى عنه الإسكان فيها فلعله ظن الاختلاس إسكانا [3].

أما ابن جنى فقد رجح رواية سيبويه بالاختلاس حيث قال: وأما (إن الله يأمركم)، و(فتوبوا إلى بارئكم) فرواها القراء عن أبى عمرو بالإسكان ورواها سيبويه بالاختلاس، وإن لم يكن كان أزكى فقد كان أذكى، ولا كان بحمد الله مزنًا بريبة ولا مغموزاً فى رواية.[4] ومضمون الكلام يوحى بأنه فضل سيبويه على القرّاء ونعته بالذكاء، فى حين وصف القراء بالغفلة كما فعل الفارسى وقد صرح بذلك فى محتسبه [5] قائلا: إن رواية سيبويه أضبط للأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا وهذا ليس عن ضعف أمانة بل من ضعف دراية.

وفى موضع آخر فى الخصائص [6] يميل إلى رواية السكون حيث نراه يروى أبياتا ورد فيها إسكان المنصوب قال ابن جنى: وقد سمع شئ من هذا الإسكان فى المفتوح قال الأخطل:

وما كلُّ مبتاعٍ ولو سَلْفَ صَـفْقَةُ براجعٍ مـا قَـدْ فَاتَـه بـرداد[7]

وقال الراعى النميرى:

تأبى قضاعةُ أن تعرِفْ لكـم نـسبا وابنا نزارٍ فأنتم بيـضةُ البلـدِ [1]

---

(١) البيت من السريع – والمراد بـ (واغل) الداخل على القوم فى شرابهم ولم يُدع.
ينظر : ديوانه صـ ١٢٢ – ٢٥٨ – الخصائص ٧٤/١ – شرح المفصل ٤٨/١.

(٢) ينظر : البيان ٨٣/١.

(٣) ينظر : الحجة ٦٨/٢ – ٦٩.

(٤) ينظر : الخصائص ٣٤٠/٢.

(٥) ينظر المحتسب ١٠١/١ – النشر ٢١٢/٢.

(٦) الخصائص ٣٣٨/٢ – ٣٤١.

(٧) البيت من الطويل. ينظر : ديوانه صـ ٥٢٨ – أدب الكاتب صـ ٥٣٨ – شرح المفصل ١٥٢/٧.

فإنه أسكن المفتوح، وقد روى (لا تعرف لكم) فإن كان كذلك فهو أسهل لاستثقال الضمة. ولم يذكر الاختلاس.

وتبعه فى القول بالاختلاس صاحب الخزانة قائلا: أحسب أن الرواية الصحيحة ما روى سيبويه فإنه أضبط لما روى عن أبى عمرو والإعراب أشبه بالرواية عن أبى عمرو؛ ولأن حذف الكسر فى مثل هذا، وحذف الضم إنما يأتى اضطراراً من الشعر كمثل ما أنشده سيبويه وزعم أنه مما يجوز فى الشعر خاصة [٢].

القول الثانى:- إنكار الإسكان قاله المبرد [٣] والأخفش [٤]، والزجاج [٥] لأن حركة الإعراب لا يجوز حذفها فى الكلام ولا الشعر وطعنوا فى هذه القراءة متهمين إمام الفرّاء باللحن؛ لأن الأصل فى الوصل هو إتمام الحركة، ولا يجوز حذفها؛ ولأنها علماً للإعراب، ودلالة على معنى ولم يكتف الأول بالطعن فى قراءة أبى عمرو بالإسكان، بل قدح فى رواية سيبويه لبيت امرئ القيس (فاليوم أشرب) وأبطلها برواية (فاليوم فاشرب) أو (فاليوم أسقى) وعليه فلا شاهد فيه ونقل عن الأخفش أن الإسكان لا يجوز عندنا إلا على ضرورة قبيحة، وإن كان جماعة من رؤساء النحويين أجازوه [٦].

الرد على المبرد وأتباعه:-

أولاً:- كونه طعن وأنكر رواية أبى عمرو بإسكان آخر المعرب فى الوصل فهذا لا يليق بشيخ القرّاء، وما يعرفه عنه أهل القراءات وأهل اللغة أنه كان ذو دراية كبيرة بعلم النحو والصرف واللغة والقراءات وجميعنا يعرف أنه ينتمى إلى قبيلة تميم، ومن سمات هذه القبيلة اللغوية أنها تميل إلى

---

(١) البيت من البسيط : ينظر : ديوانه صـ ٢٠٣ – لسان العرب (بيض).

(٢) ينظر : الخزانة ٣٥٣/٨.

(٣) ينظر : إعراب القرآن ٢٢٦/١ – الجامع لأحكام القرآن ٤٠٢/١ – المحرر الوجيز ١٤٦/١ – الدرر اللوامع ٨٢/١.

(٤) ينظر الخزانة ٣٥٣/٨ .

(٥) ينظر : معانى القرآن للزجاج ١٣٦/١-١٣٧ واختار رواية سيبويه، ينظر : خزانة ٣٥٣/٨، ينظر : المحتسب ١١٠/١ -١١١.

(٦) ينظر : المحتسب ١١٠/١ – ١١١.

التخفيف، فهى تتعجل نهاية الكلام فتجحف بالحذف أو الإسكان ومن ثم لو قرأ الرجل بلغة قبيلته فلا لوم عليه حيث إنهم قوم يشهد لهم بالفصاحة، وإن كنت متيقنه أن أبا عمرو لم يحذف الإعراب انتماء للغة قبيلته، بل هى قراءة من القراءات يشهد لها قراءة غيره لها.

ثانياً:- أما كون الحركة علماً على الإعراب ومن ثم لا يجوز حذفها فهذا ليس بكلام مستقيم؛ لأن حركة الإعراب على لام الكلمة تشبه حركة عينها، وكلتا الحركتين زائدتين، فكما تسقط حركة العين فى الوقف والاعتلال، كذلك تسقط حركة الإعراب للتخفيف.

قال الفارسى رداً على المبرد: ألا ترى أن حركات الإعراب قد تحذف لأشياء كالوقف، والاعتلال، فلو كانت حركة الإعراب لا يجوز حذفها من حيث كانت دلالة الإعراب لم يجز حذفها فى هذه المواضع، فإذا جاز حذفها فى هذه المواضع، جاز حذفها أيضا فيما ذهب إليه سيبويه وهو التشبيه بحركة البناء – أى حركة عين الكلمة والجامع بينهما أنهما زائدتان، وأنها قد تسقط فى الوقف والاعتلال كما تسقط التى للبناء للتخفيف [1] والمراد بأنهما زائدتان أن يكون الأصل هو الإسكان وأن التحريك لا يكون إلا فى الوصل وعدم الاعتلال فى لام الكلمة وحالة عدم القصد إلى التخفيف فى عينها.

ثم استدرك أبو على قائلا: فإن قلت: إن سقوطها فى الوقف إنما جاز؛ لأنه إذا وصلت الكلمة ظهرت الحركة ويستدل عليه بالموضع قيل: وكذلك إذا أُسْكِنَ نحو (هَنْك) استدل عليه بالموضع، وإذا فارقت هذه الصيغة التى شبهت لها بسَبُع ظهرت كما تظهر التى للإعراب فى الوصل[2].

ثالثاً:- أما مسألة دلالة الإعراب على المعانى، فقد رد عليه الفارسى أيضا مستخدماً القياس على حركة البناء؛ لأن ما يجرى على حركة العين هو ما يجرى على حركة اللام من حيث الحذف والإثبات، ومن حيث الدلالة، حيث قال: وحركات البناء قد تدل على المعنى وقد حذفت، ألا ترى

(١) ينظر : الحجة ٢/٦٧.

(٢) ينظر : المصدر السابق.

تحريك العين بالكسر فى (ضرب) يدل على معنى، وقد جاز إسكانها، فكذلك يجوز إسكان حركة الإعراب، وكذلك الكسر فى نحو حذِر، والضم فى نحو حذُر [1].

وإنصافاً للحق فلم يترك أبو على الفارسى حجة للمبرد إلا وردها عليه، فهذه الردود يسجلها التاريخ اللغوى له. ولكن هذا لم يمنع الفارسى أن يقرّ بأن أبا عمرو قرأ فى حدود الاختلاس وإن كان صوت الحرف المختلس ضعيف إلا أنه بزنة المتحرك، وأن الذى روى الإسكان ربما سمعه مختلسا فظنه ساكنا.

رابعاً:- وأما قدحه فيما رواه سيبويه فرده ابن جنى قائلا: إن القدح لم يكن على صاحب الكتاب وإنما على العرب، لأن سيبويه حكاه كما سمعه، ولا يمكن فى الوزن أيضا غيره. وقول أبى العباس المبرد: إنما الرواية (فاليوم فاشرب) فكأنه قال لسيبويه: كذبت على العرب، ولم تسمع ما حكيته عنهم وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرَف فقد سقطت كلفة القول معه، وكذلك الاعتراض عليه فى إنشاده قوله:

لا بارك الله فى الغوانى هل يُصبْحن إلاّ لهنّ مُطّلَبُ [2]

وقول الأصمعى: " فى الغوانى ما " يريد: فى الغوانى أما، ويخفف الهمزة. وقول غيره: (فى الغوان أما) ولو كان إلى الناس تخير ما يحتمله الموضع والتسبب إليه لكان الرجل أقوم من الجماعة به وأوصل إلى المراد منه، وأنفى لشغب الزيغ والاضطراب عنه [3] واسترد ابن عصفور – مجيزاً حذف الحركة من آخر الكلمة حال الوصل مستدلا على صحة ذلك بالسماع والقياس فى الرد على المبرد بأنه من الضرورة حذف علامتى الإعراب: الضمة والكسرة من الحرف الصحيح تخفيفا إجراء للوصل مجرى الوقف، أو تشبيها للضمة من (عَضُد)، وللكسرة بالكسوة من (فخذ، وإبل) وأن هذا جائز فى القياس والسماع.

---

(١) ينظر الحجة ٦٨/٢ – ٦٩.

(٢) البيت من المنسرح، لعبيد الله بن قيس الرقيات، ينظر : الكتاب ٣١٤/٣، المقتضب ١٤٢/١ – شرح المفصل ١٠١/١، الهمع ٥٣/١.

(٣) ينظر : المحتسب ١١٠/١ – ١١١.

أما القياس فإن النحويين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإعراب للإدغام، لا يخالف فى ذلك أحد منهم، وقد قرأ القرّاء [1] قوله تعالى: مالك لا تأمنا [2] بالإدغام، وخطّ فى المصحف بنون واحدة فلم ينكر ذلك أحد من النحويين، فكما جاز ذهابها للإدغام فكذلك ينبغى أن لا ينكر ذهابها للتخفيف.

أما السماع : فثبوت التخفيف فى الأبيات التى تقدمت وروايتهما – يقصد المبرد والأخفش – لبعض تلك الأبيات على خلاف التخفيف لا يقدح فى رواية غيرهما[3].

ثم ذيّل بأن التخفيف الواقع فى الكلمة نحو عَضْد من عَضُد سائغ فى حال السعة؛ لأنه لغة لقبائل ربيعة بخلاف ما شبه به من المنفصل، فإنه لا يجوز إلا فى الشعر.

وإن كانت الضمة والكسرة اللتان فى آخر الكلمة علامتى بناء اتفق النحويون على جواز حذفهما فى الشعر تخفيفاً [4].

ورد صاحب الدر المصون على المبرد بأنها جرأة منه حين الطعن فى قراءة أبى عمرو، وأنه جهل بأشعار العرب، وذكر أن قراءة التسكين تشبه قراءة حمزة [5] فى قوله تعالى ومكر السيئ[6] بسكون الهمزة وصلا إجراء له مجرى الوقف لتوالى الحركات تخفيفاً كـ(بارئكم) لأبى عمرو، وقد أكثر الفارسى فى الاستشهاد لها من كلام العرب ثم قال: فإذا ساغ ما ذكر فى هذه القراءة، لم يسغ أن يقال لحن وقيل: إن ما ثبت بالاستفاضة أو التواتر أنه قرئ به فلابد من جوازه ولا يجوز أن يقال: لحن وهى مروية عن أبى عمرو والكسائى فناهيك عن إمامى القراءة والنحو [7].

---

(١) ينظر : الاتحاف صـ ٣٢٨.

(٢) يوسف من آية (١١).

(٣) ينظر : الضرائر لابن عصفور صـ ٩٣ – ٩٦.

(٤) ينظر : الضرائر لابن عصفور صـ ٩٣ – ٩٦.

(٥) ينظر : الاتحاف صـ ٤٦٤.

(٦) فاطر من آية (٤٣).

(٧) ينظر : الإتحاف صـ ٤٦٤.

والذى حسنه – أى الإسكان – فى (بارئكم) أن قبل كسرة الهمزة راء مكسورة، والراء حرف تكرير، فكأنه توالى ثلاث كسرات فحسن التسكين ثم استدرك صاحب الدر قائلا وليت المبرد اقتدى بسيبويه فى الاعتذار عن أبى عمرو وفى عدم الجرأة عليه[1].

وأحمد الله أنه لم يقتد بسيبويه؛ لأن سيبويه وإن كان قد اعتذر لأبى عمرو ومكانته إلا أنه قد قدح فى الراوى وهو من الثقات والمشهود لهم من أهل الرواية، واتهامه للراوى – اليزيدى – بأنه لم يضبط عن أبى عمرو نقد أساء به لجميع الرواة قال الدانى: قالت الجماعة عن اليزيدى إن أبا عمرو كان يشم الهاء من (يهدى) والخاء من (يخصمون) شيئا من الفتح. قال: وهذا يبطل قول من زعم أن اليزيدى أساء السمع إذ كان أبو عمرو يختلس الحركة فى (بارئكم) و(يأمركم) فتوهمه الإسكان الصحيح فحكاه عنه؛ لأنه ما أساء السمع فيه وخفى عنه لم يضبطه بزعم القائل وقول المتأول قد حكاه بعينه وضبطه بنفسه فيما لا ينبعض من الحركات الخفية وهو الفتح فمحال أن يذهب عنه ويخفى عليه فيما يتبعض منهن لقوته وهو الرفع والخفض قال ويبين ذلك ويوضح صحته أن ابنه، وأبا حمدون، وأبا خلاد، وأبا عمرو، وأبا شعيب، وابن شجاع رووا عنه عن أبى عمرو إشمام الراء من (أرنا) شيئاً من الكسر، قال فلو كان ما حكاه سيبويه صحيحاً لكانت روايته فى (أرنا) ونظائره كروايته فى: بارئكم وبابه سواء، ولم يكن يسئ السمع فى موضع ولا يسيئه فى آخر مثله. هذا مما لا يشك فيه ذو لب ولا يرتاب فيه ذوقهم. انتهى، ويستكمل صاحب النشر [2] فيقول وهو فى غاية من التحقيق: فإن من يزعم أن أئمة القراءة ينقلون حروف القرآن من غير تحقيق ولا بصيرة ولا توقيف بهم ما هم منه مبرؤن وعنه مترهون، وقد قرأ بإسكان لام الفعل من كل هذه الأفعال وغيرها نحو (يعلمهم ونحشرهم) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن أحد أئمة القراء بمكة وقرأ مسلم بن محارب (وبعولتهن أحق) بإسكان التاء [3] وقرأ غيره (ورسلْنا) بإسكان اللام [4] كما ذكرت سابقا.

---

(١) ينظر : الدرر المصون ٢٢٦/١.

(٢) ينظر : النشر ٢١٤/٢.

(٣) ينظر : النشر ٢١٤/٢.

(٤) ينظر : النشر ٢١٤/٢.

هذا وظاهرة الإسكان الذى اختلف فيها النحاة، على النحو الذى عرضناه ظاهرة معروفة فى الشعر العربى وذلك نحو قول الشاعر:

سيروا بنى العمّ فالأهوازُ وهْر تِبرَى ولا تعرْفكم العَرَبُ[1]

فقد سكن "تعرفكم" وهو مرفوع.

وقال عامر بن الطفيل:

فما سوّدتنى عامِر عن وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب[2]

فقد سكن " أسمو" وهو منصوب.

وقول سعيد بن مسحوج الشيبانى :

وأن يُعْرَيْنَ إن كُسِىَ الجَوَارى فَتَبْنُو العَينُ عن كَرَمٍ عِجَافِ[3]

وقول الأخطل:

إذا شئْتَ أن تَلْهُوْ بِبَعْضِ حَديثها نَزَلْن وأنزَلْنَ القَطِنَ المُوَلَّدا[4]

وقول الآخر:

ونَاعٍ يخبُرنا بمقتل سيد تُقطع من وجد عليه الأناملُ[5]

---

(١) البيت من البسيط، وهو لجرير. الشاهد فيه (تعرفكم) بإسكان آخر الكلمة – وخرجه النحاة على أنه ضرورة. ينظر: الخصائص ٢/٢٤٠ – ديوانه ص٤٤١ – سمط اللآلى٥٢٧.

(٢) البيت من الطويل، والشاهد فيه (أن أسمو) بسكون آخر الكلمة – ينظر: الخصائص ٢/٢٤٢ – الكامل ٢/٢١٢.

(٣) البيت من الوافر، وقيل هو لأبى خالد التفتازانى، والشاهد فيه (فتبنو) حيث سكن آخر الفعل، وخرجه النحاة على الضرورة. ينظر: الخصائص ٢/٣٤٢ – شرح الشواهد المغنى ٢/٨٨٦ – المنصف ٢/١١٥.

(٤) من الطويل والشاهد فيه قوله (تلهو) بإسكان آخره. ينظر ديوانه ٨٦ – الخصائص ٢/٣٤٢ – المحتسب ١/١٢٦ – المنصف ٢/١١٥ – الخزانة ٨/٣٤٨.

(٥) البيت من الطويل، وقد خرجه الفراء من باب التخفيف لاشتغالهم الفتحة بعد الكسرة. ينظر: معانى الفراء ٢/١٢.

والجدير بالذكر أن بعض القبائل التى تُرتضى عربيتها قد اشتهرت بهذه الظاهرة، قال ابن مجاهد، قال عباس سألت أبا عمرو عن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ فقال: أهل الحجاز يقولون (يعلمُهم) و(يلعنُهُم) ولغة تميم: (يِعلمْهم)، و(يلعنْهم) ونسبه الفراء إلى تميم وأسد كما يقول ابن الجزرى. [1]

الأدلة النحوية المخالفة للقياس وسبل تخريجها :

اتفق النحاة على أن الأدلة النحوية تتمثل فى القرآن الكريم، وكلا العرب – شعره ونثره – والحديث على الرأى الصحيح. وما يخص بحثنا هذا دليلان : القرآن، وكلام العرب. والقرآن هو عماد الأدلة النقلية عند النحاة لما يمثله من معين حقيقى لكل اللهجات العربية من خلال قراءاته.

والقراءات القرآنية وظفها النحاة على حسب مرادهم، فما يوافق قواعدهم قبلوه، وما يخالفها نعتوه بالشذوذ، وقد كان لهم طرق كثيرة فى معالجة القراءات المخالفة للقياس :

١– تخطئة القراءات : فمن يطلع على كتب التفاسير اللغوية يجد عبارات التخطئة صريحة واضحة سواء أكان مؤلفوها من المدرسة البصرية أم الكوفية، فهذا الأخفش يقول فى قراءة أبى عمرو فى قوله تعالى : ﴿ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾، وهى قبيحة؛ لأن (فَعْل) لا يجمع على (فُعُل) إلا

من يطلع على كتب التفاسير اللغوية يجد عبارات التخطئة صريحة واضحة سواء كان مؤلفوها من المدرسة البصرية أم الكوفية، فهذا الأخفش الأوسط يقول فى قراءة أبى عمرو فى قوله تعالى: ﴿..فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ..﴾[2] وهى قبيحة، لأن (فَعْلا) لا يجمع على (فُعُل) إلا قليلا شاذاً.[3]

وذاك الفراء يقول فى قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب بخفض الياء فى قوله تعالى: ﴿.. وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ..﴾[4] « لعلها من وهم القرّاء فإنه قلّ من سَلم منهم من الوهم... ولعله ظن أن الياء فى (بمصرخي) خافضة للحرف كله واليا من المتكلم خارجة من ذلك ».[5]

ويقول المازنى: « فأما قراءة (معائش)[1] بالهمزة فهى خطأ وقد أخذت عن نافع بن نعيم وهو لم يكن يدرى ما العربية وله أحرف يقرؤها.[2]

---

(١) ينظر: النشر ٢/٢١٢ – ٢١٤ – البحر ٢/١٨٨.

(٢) البقرة من آية (٢٨٣).

(٣) معانى القرآن للأخفش ١/١٩.

(٤) سورة إبراهيم من آية (٢٢).

(٥) معانى القرآن للفراء ٢/٧٥.

ومن المهم أن تشير إلى أن التخطئة لم تقتصر على النحاة فقط، بل تجاوز الأمر إلى القـــرّاء، فهذا هو ابن مجاهد يقول: وروى خارجة عن نافع (معائش) ممدودة مهموزة قال أبو بكر وهو غلط. ويقول عن قراءة عامر (أنبئهم) مهموزة مكسورة الهاء وهو خطأ فى العربية، إنما يجوز الكـــسر إذا ترك الهمز فيكون عليهم وإليهم. (٣)

وذهب د/ مهدى المخزومى إلى أن هذه النزعة نزعة بصرية محضة إذ يرى البصريين فى مثل قراءة أبي عمر بن العلاء ﴿.. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً..﴾ (٤) بالجزم دون سابق جـــازم، أو قراءة من قرأ: ﴿..أَنُلْزِمُكُمُوهَا..﴾ (٥) ولا نافية يحملونها على الشذوذ أو الضرورة لأنها لا تخـــضع لأصولهم الموضوعة، ولكن الكوفيين ذهبوا إلى أنها مما يصح القياس عليه(٦). وأيده د/ عبد الـــرحمن السيد فذكر معللاً بعدة قراءات(٧)، كقراءة ﴿..وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِـــهِ وَالأَرْحَـــامَ..﴾ (٨) بالجر.

ودحض د/ شوقى ضيف هذه الفكرة المأخوذة عن البصريين بأن الكوفيين هـــم أصـــحاب فكرة تخطئه القراءات حيث قال: « يظهر أن الكسائى هو الذى بدأ بتخطئة القرّاء إذ ترى الفـــراء يتوقف فى كتابه معانى القرآن مراراً ليقول إن الكسائى كان لا يجيز القراءة بهـــذا الحـــرف أو ذاك »(٩). ثم تابعه من المدرسة البصرية المازنى والمبرد.

وقد التمس لهم العذر قائلاً: « وينبغى أن تعرف أن الفراء ومن تابعه من البصريين لم يكونوا يقصدون إلى الطعن على القرّاء من حيث هو، إنما كانوا يثبتون ويتوقفون فى مواضع التوقف حـــين

---

(١) الأعراف من آية (١٠٠) وتنظر : القراءة فى الاتحاف صـــ٢٠٨.

(٢) ينظر المنصف ٣٠٧/١.

(٣) السبعة لابن مجاهد ١٥٣- ٢٧٨.

(٤) البقرة من آية ٦٧.

(٥) هود من آية ٢٨.

(٦) ينظر: مدرسة الكوفة ص٣١٦ – ١٤٩.

(٧) ينظر: مدرسة البصرة ص١٧١ – ١٧٢ وما بعدها.

(٨) النساء من آية ٣.

(٩) المدارس النحوية ص١٥٧ – وينظر: معانى القرآن ٧٥/١.

يعيبهم أن يجدوا للقراءة الشاذة على عامة القراء ما يسندها من كلام العرب ». ومـا أعرفـه أن القراءة سنة متبعه كما قال سيبويه[1].

وقد ذهب المستشرقون[2] إلى أن الخلاف فى القراءات يرجع إلى عدة أمور:

١- خصوصية الخط العربى الذى يقدم فى هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعـا لاخـتلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط.

٢- اختلاف الحركات، الذى لا يوجد فى الكتابة العربية الأصلية ما يحدده.

٣- زيادات تفسيرية تضاف للنص لتحديد المعنى أو دفع الاضطراب أو إزالة غمـوض فى نـص تشريعى.

٤- عدم السماح باستعمال عبارات متصلة بالله ورسوله تبدو غير لائقة أو غير متفقة مع وجوب تعظيم الله ورسوله. [3]

وأقول أن هذا كلام إن دل فإنما يدل على عدم فهم المستشرق لحقائق الدين الإسلامى فلو علم أن القرآن كان يتلقى بالمشافهة لعلم أنه لا يمكن أن يكون لخصوصية الخط دخل فى الاختلاف.

ولو رأى مدى احترام المسلمين لكتابهم المقدس ومدى عنايتهم به لعلم أن المسلمين فى مأمن الباس التفسير بالنص القرآنى.

وأقول لمن يبحث فيما لا طائل من ورائه لماذا تتحدثون أصلاً فى تخطئة القراءة ألم تـسمعوا قول ابن جنى فى باب (ما يرد عن العرب مخالفا لما عليه الجمهور): « إذا اتفق شئ من ذلك نظر فى حال العرب وفيما جاء به، فإن كان الإنسان فصيحاً فى جميع ما عدا ذلك القدر الذى انفـرد بـه، وكان ما أورده مما يقبله القياس، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان، فـإن الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به، ولا يحمل على فساده.

فإن قيل: فمن أين ذلك له، وليس مسوّغا أن يرتجل لغة لنفسه ؟ قيل: قد يمكن أن يكـون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها، وعفا رسمها، وتأبدت معالمها ». [4]

---

(١) ينظر: المدارس النحوية ص٢٢٣.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص٦٥/٧ – جواد تزيهر – المدارس النحوية ص٢٢٣.

(٣) ينظر: فى أدلة النحو ص٦٢-٦٣ لعفاف حسين.

(٤) الخصائص ٣٨٥/١ – ٣٨٦.

والحق أن القراء قرأوا بهذه القراءات بعد أن قاسوها قياساً صحيحاً كما يقول أبو عمرو الدانى: « لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر، والأصح فى النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها ». (١)

وقيل إنا لا ندعى أن كل ما فى القراءات على أرفع الدرجات من الفصاحة وإن كان سبيل التأدب يلزمنا الاعتداد بها جميعا. (٢)

هذا ومن أحكام القراءات أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقطها، وهذا غير مرضى؛ لأن كلا منهما متواتر. (٣)

وقد ردَّ أبو جعفر النحاس بأن السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان أن لا يقال: إحداهما أجود؛ لأنها جميعا عن النبى ﷺ فيأثم من قال ذلك. (٤)

وقد أثبتت الدراسة أن سيبويه كان يأخذ من القراءات ما يتفق مع قواعده المستنبطة، ويدع ما لا يتفق معها، غير ناظر فى هذه أو تلك إلى كون القراءة من السبع أو العشر، بل أخذ بقراءات من الأربع عشرة ومن شواذ القراءات؛ أما ما لا يتوافق مع قواعده وقياسه فهو بين التأويل فيها أو التخريج لها أو ترك الاحتجاج بها أو إنكارها أو تضعيفها(٥). وقد يحمل بعضها على الضرورة أو الشذوذ، وهذا هو حال إمام المدرسة البصرية فكيف حال أبنائها هذا ما خلصت إليه إحدى الباحثات فى دراسة أجرتها على كتاب الإنصاف، أن المدرسة الكوفية كانت هى الأكثر اعتناءً بالقرآن والقراءات، والاستدلال بها على جميع مراتبها ودرجاتها. (٦)

٢-نسبة القراءة إلى لغة من لغات العرب:

---

(١) ينظر: النشر ١/١٠.

(٢) ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين صـ٦٥.

(٣) ينظر: الإتقان ص٨٣.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ١/٢٢٦ - ٢٢٨.

(٥) أدلة النحو ص٦٣.

(٦) ينظر: فى أدلة النحو ص٦٩-٧١.

إن النحاة حينما ينسبون القراءة إلى لغة من لغات العرب إنما يصفون بذلك أمراً لغويا واقعا لا سبيل إلى إنكاره ما دام النقل صحيحا، وكان من الأجدى لبعض النحاة أن يعترفوا بالقراءات التى تمثل واقعاً لغويا لأنها منسوبة إلى اللغات بدلاً من أن ينعتوها بالخطأ.

فمن أمثلة القراءات التى تمثل لغة قراءة أبي جعفر القعقاع ﴿..لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ..﴾ [1] بضم التاء حالة الوصل إتباعاً لضم الجيم[2]، فهى لغة لأزد شنوءة[3] فى حين غلطها، وخطأها كلٌ من الزجاج[4] والفارسى[5] ونعتها الزمخشرى[6] بالضعيفة. وأشير سريعا إلى أن النحاة تغافلوا عن مبدأ أن القراءات سنة متبعة، ونقل محض، ولابد من إثباتها، والإثبات لابد أن يكون عن طريق الإسناد، والقراء هم أهل النقل والإسناد. وسيأتى الحديث عن ذلك إن شاء الله.

٣- التأويل: هو وجه وجوه التخريج لشاهد مخالف للقاعدة القياسية وقد لجأ إليه النحاة ربما ليكون نوعا من التأدب مع كتاب الله، ومن التأويلات التى ذكرها النحاة. فى قوله تعالى: ﴿..إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ..﴾[7] بتشديد (إنّ) و (هذان) اسمها، وهذه القراءة موافقة للمصحف[8] مخالفة للإعراب، فأولها النحاة على عدة أوجه :

١- أن الألف من (هذا) دعامة وليست بلام فعل، فلما ثنيت زيدت عليها نون، فبقيت الألف ثابتة على حالها لا تزول. [9]

٢- عند تثنية (هذا) اجتمع ألفان (هذاا)، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فمن قدّر المحذوف ألفاً -(هذا)- والباقية ألف التثنية قلبها فى النصب والجر ياء، ومن قدر عكس ذلك لم يغير الألف لمن لقطها. [1]

---

(١) البقرة من الآية (٣٤).

(٢) ننظر القراءة فى: الإتحاف صـ ١٧٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥٢/١ - ٤٩٣/٨.

(٤) ينظر: معانى الزجاج ١١٢/١١١/١.

(٥) ينظر: الحجة ٤٩/١.

(٦) الكشاف صـ٧١- دار المعرفة.

(٧) طه من الآية ٦٣.

(٨) ينظر: المغنى فى توجيه القراءات ٢٤/٣- جامع البيان ١٣٦/١٦ - روح المعانى ٢٢١/١٦: ٢٢٤.

(٩) ينظر: معانى الفراء ١٨٤/٢.

٣- (إنّ) بمعنى (نعم) وما بعدها مبتدأ وخبر.[٢]

٤- (إنّ) فيها ضمير الشأن محذوف، وما بعدها مبتدأ وخبر.[٣]

٥- إن فى الآية بمعنى (ما) والتقدير ما هذان إلا ساحران.[٤]

٦- إن الإعراب لا يظهر فى المفرد (هذا) فكذلك فى التثنية، حتى لا يكون المثنى كالمفرد؛ لأنه فرع منه وهذا الوجه على لغة بناء (هذان).[٥]

٧- والصحيح ما ذكره ابن مالك من أنها موافقة للغة بنى الحارث بن كعب الذين يلزمون المثنى الألف فى كل حال وذكرت كتب اللغة شواهد كثيرة من دواوين العرب على هذه اللغة مما يغنى عن ذكرها هنا.

❁ ليس دفاعاً عن موقف القرّاء:

إن القرآن الكريم هو النص الوحيد الصحيح، الذى اعتنى به علماء الإسلام وخاصة القرّاء، من حيث تواتر روايته، وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متناً، وسنداً، بتدوينها عن طريق المشافهة عن أفواه العلماء الأثبات الفصحاء عن التابعين، عن الصحابة عن الرسول ﷺ، فمن ثمّ يكون النص العربى الصحيح المجمع على تلاوته بالطرق التى وصل بها إلينا فى الأداء والحركات والسكنات.[٦]

والجدير بالذكر أنه أيضاً النص المجمع على الاحتجاج به بين أهل اللغة والنحو والصرف والبلاغة، وبالتبيعة فقراءاته الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة، وكذلك طرقه المختلفة فى الأداء هى أيضاً حجة، لأنها مروية عن الصحابة وقرّاء التابعين، وهم جميعاً ممن يحتج بكلامهم فى الأحوال العادية، فما بال قراءاتهم التى تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من الرسول ﷺ ومن المهم أن نؤكد على أن أئمة الفراء كأبى عمرو، والكسائى ويعقوب الحضرمى وغيرهم هم أئمة فى اللغة والنحو، ومن ثم قد جرى العرف بين العلماء على الاحتجاج بروايتهم

---

(١) ينظر: إعراب القراءات السبع لابن خالوية ٣٧/٢.

(٢) ينظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٣/٣ – الأمالى لابن الحاجب ١٥٧/١.

(٣) ينظر: التبيان ٢٣/٢.

(٤) ينظر: شرح المفصل ١٣٠/٣.

(٥) ينظر: شذور الذهب ٤٩-٥٠.

(٦) ينظر: فى أصول النحو ص٢٧ – ٢٨.

سواء أكانت متواترة أم آحاد أم شاذة. وهذه الأخيرة التى منع القرّاء قراءتها فى التلاوة لعدم وثوقهم أنها تنسب إلى النبى ﷺ نفسه قد يحتج بها علماء اللغة والنحو؛ لأن رواتها عرب فصحاء سلائقهم سليمة، تبنى على أقوالهم قواعد وأصول العربية.(١)

ومن المعروف أن النحاة قد احتجوا بكلام من لم تفسد سلائقهم من التابعين وتابعيهم، ولو أخذوا بقراءة أعيان التابعين والصحابة لكان أولى.

ورجحان القراءات القرآنية على الشواهد النحوية المأخوذة من كلام العرب من حيث الاحتجاج بها فيه خلاف بين النحاة والقرّاء من الناحية المنهجية فالمنهج عند أغلب النحاة كان منهجاً عقلياً يقوم على البحث، والتجربة، والاستدلال والقياس، بيد أن علاقتهم بالنصوص العربية بوجه عام عند استنباطهم للقواعد، وطرق وضعهم لها فيه شئ من عدم الانضباط لأنهم بنوا قواعدهم على كلام العرب فجمعون نتفاً شعرية ونثرية – من هذه القبيلة ومن تلك، ومن كلام أعرابى فى الشمال، وامرأة فى الجنوب، ومن شعر مجهول القائل، إلى قول معروف ومشهور، ثم يضعون القواعد على أكثر وأشهر ما وصل إليهم من النصوص، ثم يقرون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها فى الكلام. حتى إذا أتتهم قراءة صحيحة السند تخالف القياس، طعنوا فيها وإن كان قارئها أبلغ وأفصح ممن يحتج النحوى بكلامهم فيقوم على الرواية، والجمع، والتجريح، والتعديل.

أما منهج علماء القراءات، فهو من الناحية العلمية والمنهجية يعتبر منهج سديد، لأن أقل ما يشترط لصحة القراءة ثلاثة شروط:

١- صحة السند بها إلى الرسول ﷺ.

٢- موافقتها رسم المصحف المجمع عليه.

٣- موافقتها وجهاً من وجوه العربية.

فالقراءة لها هى خاضعة للسماع الصحيح بتوافر تلك الشروط فيها أما القراءة الشاذة، فهى ما خالفت أحد هذه الشروط ولذا منعوا القراءة بها فى الصلاة، ولكن لا يصح فى الاحتجاج بها

(١) ينظر: الاقتراح ص١٧.

فصاحة عربى فمخالفة الرسم، أو التواتر، أو مخالفة أى وجه من أوجه العربية لا يؤثر فى صحة بناء القاعدة عليها. (١)

وعن هذا المنهج عبر أبو عمرو الدانى قائلاً: وأئمة القرّاء لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة، والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل، والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها. (٢)

هذا هو منهج القرّاء الذين كانوا فى غاية الأمانة، والدقة عند تطبيقه.

علماً بأن منهج الرواية بدأ يتنامى بعد تراجع المنهج العقلى فى أواخر القرن الرابع الهجرى. ولتقدم شأن علم الرواية، والنقل، لم يكن غريبا أن يتراجع موقف النحاة المتأخرين فى أن يفكروا على أسلافهم ما لحنوه من القراءات السابقة.

يقول السيوطى: « كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة، وابن عامر قراءات بعيدة فى العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون، فإن قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لا مطعن فيها ». (٣)

أما أبو حيان فقد رد على المازنى والزمخشرى قائلاً: « أما قوله فى الأول إن نافعاً لم يكن يدرى ما العربية، وهى هذه الصناعة التى يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب، فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء، وكثيرون من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقرّاء ولا يجوز لهم ذلك ». (٤)

وفى الثانى قال: وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض (أبى عامر) قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بينت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقرّاء الأئمة الذين تخيرهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم بدينهم. (٥)

---

(١) ينظر: غيث النفع صـ ٦ – فى أصول النحو صـ ٢٩-٣٠.

(٢) ينظر: النشر ١/١٠.

(٣) الاقتراح ص٤٩.

(٤) البحر المحيط ٤/٢٧١.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤/٢٣٠.

ومن ثَمَّ يكشف إنكار النحاة لقراءة الإسكان أو تفسيرها بالاختلاس عن مدى اهتمامهم بالحركات الإعرابية، لكونها علماً على الوظيفة النحوية، وأن حذفها قد يؤدى إلى لبس.(١)

ومن الملاحظ أن الجدال لم يدر إلا حول إثبات قراءة الإسكان لأبى عمرو من عدمها، مع أن الإسكان مروى عن كثيرين غيره، ولكن يبدو أنهم محكوم عليهم بأنهم أصحاب القراءات الشاذة ومن ثم يباح لهم ما لا يباح لغيرهم والأمر بالنسبة لأبى عمرو مختلف؛ لأنه ينبوع من ينابيع اللغة والنحو والقراءة، وإمام مدرسة النحاة البصرية – والتى نشأ وتربى فيها أئمة النحو الرافضين لتلك القراءة.

وإنصافا للحق فإن النحويين لم يكونوا موفقين بإنكارهم رواية الإسكان، وإجازة الاختلاس تأدباً مع أبى عمرو إلا أنهم لم يتأدبوا مع غيره من رواة الإسكان، ونعتوهم بالغفلة وعدم الضبط فى حين أن الإسكان لغة شائعة فى تميم سواء أكان إسكان الوسط أم إسكان الآخر والذى أثبته أبو عمرو التميمى وغيره من القراء.

ويتأكد لنا مما تقدم أن تلك المشكلة تكمن فى موقف النحاة أنفسهم فقد تنازعتهم ما آمنوا به من قواعد وأصول نحوية ثابتة وضعها الأقدمون وسرى على خطاها المتأخرون، وما اصطدموا به من أدلة نقلية تمثل لهجاتٍ عربيةٍ فصيحةٍ، تخالف قياسهم، وتطيح بالعلامات الإعرابية المقدسة عندهم، والتى تخطت حدود – كونها مجرد قرينة نحوية تعين القارئ على ضبط كلامه إما بالمشافهة أو الكتابة إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ أنها أصبحت عَلَم على عِلم قائم بذاته، فإذا حذفتها فكأنما حذفت هذا النوع من العلم اللغوى بأكمله وهذا غير صحيح، لأن هذا العلم له صلة وطيدة بالقرآن الكريم وسيظل حياً طالما كان القرآن حيا باقيا فى العقول، والصدور، وعلى الألسنة يُقرأ ويتلى ومن منطلق احترامنا لكتاب الله، لابد أن نعترف بكل القراءات الواردة إلينا عن طريق الرواة الثقات الذين هم على درجة كبيرة من الخشية، والورع، والخوف على الدين مما لا يدع مجال للشك فى تدليس روايتهم سواء أكانت متواترة أم شاذة – إذا أنهم لم يكونوا أقل ذكاءً، ولا همة فى العمل من رواة اللغة.

(١) ينظر: أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ص٣٥٨ – ٣٦٠.

أثر القراءات فى تقعيد النحو وتحديثه

من خلال دور المجمع اللغوي

ويشتمل على:

١- موقف المجمع من الاستشهاد باللهجات العربية.

٢- أثر القراءات فى إجازة الأساليب العامية.

٣- الجدل حول اعتماد مبدأ القلة والكثرة.

٤- النحو العربى فى عيون المجمع.

٥- مفهوم الإعراب وأهميته عند ثوار التجديد النحوى.

٦- المطالبة بتحديث النحو العربى.

موقف المجمع من الاستشهاد باللهجات العربية :-

من المؤكد أن مشكلة الإعراب، مشكلة قديمة تعرض لها علماء اللغة قدامى ومحدثين، ويرجع السبب فى ذلك إلى أنها لهجة من لهجات القبائل العربية الفصحية غير لهجة قريش ومن الصواب أن نعترف أن للهجات العربية دور مهم فى الحقل اللغوى حيث إنها تمثل العربية الفصحى، وقد نصت لائحة المجمع على وجوب تنظيم دراسة علمية للهجات العربية المعاصرة بمصر وبالأقطار العربية الأخرى[1].

وقد دعا أحد أعضاء [2] المجمع إلى دراسة تهدف إلى دراسة نحو اللهجات، وصرفها والتطورات الطارئة عليها، للوصول إلى ضبط الصلات التى تربط بينهما وأكد بعضهم [3] على أن تلك الدراسة كفيلة بأن توفر أسس لغة بين الفصحى والعامية فرُد بأن تلك الدراسة من مشمولات الجامعات وليست من مشمولات المجمع، ورفض الشيخان[4] رفضا باتا هذا التطور المبدئى لتلك اللغة، وأكدا على ضرورة إيجاد لغة غربية بدون إعراب ويعنيان بذلك المولد الذى يشمل جزءاً من العامية على كل حال [5].

ثم زعم الشيخ أحمد الإسكندرى أن إدراج العامية فى اللغة الفصيحة يعد خرقا للغة، ودعا الدولة والرعايا المصريين إلى محاربة هذه الآفة التى ستقضى على اللغة وآدابها [6].

وظلت دراسة اللهجات بين التأييد والرفض حتى وافق المجمع اللغوى على دراسة اللهجات العربية وتفعيل دورها [7].

---

(١) ينظر: محاضر الجلسات ٧/١ ، ومابعدها.

(٢) عيسى إسكندر المعلوف ، ينظر : محاضر الجلسات ٢٨٧/١ .

(٣) الشيخ عبد القادر المغربى.

(٤) الشيخ أحمد الإسكندرى، والشيخ محمد كرد.

(٥) ينظر: محاضر الجلسات ٢٩٢/١-٢٩٣.

(٦) ينظر: مجلة المجمع بالقاهرة ٢ / ٨.

(٧) ينظر: مجلة المجمع بالقاهرة ٥ / ١٩٣.

واعتمد فى موافقته على مبدأ كلام ابن جنى (أن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيرا منه) واتخذه دستوراً لمبدأ عام وهو أنه عند استنباط حكم أو قياس صيغة فى معنى لابد أن يستند فى استنباطها إلى لهجة من لهجات العرب والسؤال الذى فرض نفسه على طاولة المناقشات داخل أروقة المجمع، هل يجوز القياس على أية لغة من لغات العرب أو لهجاتها ؟ وهل يؤخذ كلام ابن جنى بوجه عام ؟

جاءت الإجابة بين مؤيد ومعارض، فيرى بعضهم أن قصد ابن جنى الأخذ من اللهجات التى يشهد لها بالفصاحة وكثرة الاستعمال، بحيث لا تنحط اللهجة إلى المستوى الذى توصف فيه بالضعف والرداءة، وإن أمثال تلك اللهجات لا يجوز استعمالها إلا فى حالة الضرورة [1].

ويرى بعضهم الآخر جواز الأخذ من كل اللهجات الفصيحة وغير الفصيحة وإذا سلمنا أنها رديئة فاحتذاؤها صحيح عملاً بقول ابن جنى أن اللغات كلها حجة يقاس عليها. أما أن نقيد كلام ابن جنى بقيود ليست فى كلامه فهو تحميل للكلام أكثر مما يحتمل ونبه أ. أمين الخولى – مؤيدا – على أن الضرورة الحيوية أهم من الضرورة فى الشعر أو النثر، لأن ضرورات الحياة فى تيسير اللغة على مستخدميها ومتعلميها، ورأب الصدع الناجم عن اختلاف لغة الحياة اليومية – (اللهجة العامية) – عن لغة العلم والأدب.

وأن المجمع أمر بالأخذ بها (فعلانه) مؤنث (فعلان) اعتماداً على الأخذ باللهجات العربية ولثقته بمقولة ابن جنى [2].

أما كلام المولدين فقد انقسم – فى قضية الأخذ منه – أعضاء المجمع ما بين المحافظين الذين يقصرون الأخذ على فصحاء الأمصار وحتى نهاية القرن الثانى الهجرى، وعرب الجزيرة إلى نهاية القرن الرابع، وبين المجددين الذين يعتدون بالعربية الفصيحة التى استخدمها فحول الشعراء والكتاب ممن يسمون (بالمولدين) وأمثالهم من الشعراء والأدباء المحدثين مما يؤدى ذلك إلى تطور

---

(١) ينظر: فى أصول اللغة ٢ / ٨٠ – ٨١.

(٢) ينظر: فى أصول اللغة ١ / ٩٩ – ١٠٥ – القياس فى اللغة صـ ٢٤٢ – ٢٤٤.

اللغة، وحتى تفى اللغة بمفرداتها وألفاظها بما تطلبه الحضارة الحديثة، والمصطلحات العلمية، والفنون والآداب التى تتأثر دوماً بالبيئة المحيطة بها.

والمولد هو اللفظ الذى استعمله المولودون على غير استعمال العرب وهو على قسمين:

القسم الأول:-

جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق ونحوهما كاصطلاحات العلوم والصناعة وذلك كأسماء الأجهزة المستخدمة فى منازلنا كالثلاجة، والغسالة... الخ وحكم هذه الكلمات أنها عربية سائغة.

القسم الثانى:-

خرجوا فيه عن أقيسة العرب، إما باستعمال لفظ لم تعربه العرب، وإما بتحريف فى اللفظ أو الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح، وإما وضع اللفظ ارتجالاً.

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين فى فصيح الكلام [1].

وفرق أحد أساتذة اللغة بين نوعين من المولد:

أحدهما:- ما خالف قياساً اجتمع عليه أئمة اللغة.

والآخر:- ما خالف قياساً اختلفوا فيه.

أما النوع الأول فيكاد علماء اللغة فيما سلف يجمعون على أن الناطق بكلمة لم ترد عن العرب الخلص مخطئ إلا أن تكون على قياس لغتهم.

وأما النوع الثانى يقول: فإذا جرى الخلاف فى صحة استعمال كلمة أو تركيب لم ينقل عن العرب فأساسه اختلاف النظر فى أن هذا الاستعمال موافق لمقاييس اللغة أو غير موافق لها[2].

والباحث إذا وجد فى مواقع اختلاف علماء العربية سعة فيما يأخذ به من قبول بعض الكلمات أو التراكيب فإن مخالفتهم فيما يجمعون على أنه غير مطابق للقياس ليست من السهولة

---

(١) ينظر: الغرض من قرارات المجمع والاحتجاج لها – مجلة المجمع بالقاهرة ١/٢٠٢-٢٠٤ .

(٢) ينظر: دراسات فى العربية وتاريخها صـ ١٠٧ – ١٠٨.

بحيث يجهر به الكاتب أو الخطيب غير مستند إلى شئ سوى الحرص على تكثير سواد اللغة، وإطلاق الألسنة من أن تتقيد بنظمها [1].

ومن الأمور التى أجازها المجمع معتمداً فى إجازتها على اللهجات العربية.

١- لحوق علامة التثنية والجمع بالفعل الذى فاعله اسم ظاهر وقد ورد ذلك كثيراً فى شعر البحترى، وأبى نواس، وأبى العلاء، وغيرهم وقد احتج بأشعارهم من النحاة الرضى فى شرح الكافية[2].

٢- استعمال صيغة فعلى مجردة من (ال) مستدلين بقول أبى نواس:

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباءُ در على أرض من الذهب [3]

(١) ينظر: نفس المصدر السابق صـ ١١٢.

(٢) ينظر: فى أصول اللغة ٢ / ٢٠٩.

(٣) ينظر: فى أصول اللغة ٢ / ١٨٩.

❁ أثر القراءات فى إجازة الأساليب العامية :

مما لا ريب فيه أن دراسة القراءات القرآنية تمثل بحق الحقل البكر الذى تكمن فيه اللهجات العربية؛ لأنها مصدر حى وأصيل ناتج عن دقة التلقين وحسن الضبط وإتقان المرونة [١].

والجدير بالذكر إن الحال فى المجمع اللغوى يسر الناظرين أو القارئين للقرارات، فقد اشتعل الخلاف بين أعضائه المحافظين والمجددين فى هذه القضية والتى أوجزها فيما يلى:

رأى المحافظون أن القراءات ليست على مرتبة واحدة، فمنها المتواتر والشاذ ولا شك فى أن القراءات المتواترة أكثر استعمالا وأوسع انتشاراً فى القبائل من القراءات الشاذة [٢].

وبناءً عليه قرر المجمع أن القراءات المشهورة هى المنوط بها فى الاحتجاج [٣] وعلى الرغم من هذا القرار إلا أنهم اعتمدوا بعض القراءات الشاذة وأجازوها، ومنها قراءة أبى بن كعب وعبدالله بن مسعود (وإذاً لا يلبثوا) بحذف النون على إعمال (إذاً)[٤] فى قوله تعالى وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً[٥] وعقب الشيخ الصوالحى قائلا: ومهما تكن أسباب الإعمال والإلغاء هنا فإن قراءة (لا يلبثوا ولا يؤتوا) على شذوذها حجة فى إعمال (إذن) عند عدم استيفائها الشروط [٦] وقراءة أبى عبد الرحمن السلمى المرفوعة إلى على بن أبى طالب فى قوله تعالى واللذين ينفقون[٧] وهذه قراءة شاذة احتج لها ابن جنى[٨] وعلى إثرها أجاز المجمع الأسلوب العامى الدارج (تَوَفَّى المتَوَفَّى) بالبناء للمعلوم.

---

(١) ينظر: اللهجات العربية ١ / ١٦٢.

(٢) ينظر: البحوث والمحاضرات ٣٥ / ٩٧.

(٣) ينظر: مجموعة القرارات العلمية ١٤٦.

(٤) ينظر القراءة فى: معجم القراءات ١/٥-١ – الكشاف صـ٦٠٥ .

(٥) سورة الإسراء (٧٦).

(٦) ينظر: فى أصول اللغة ٢ / ١٣٩.

(٧) سورة البقرة آية (٢٣٤).

(٨) ينظر: المحتسب ١ / ٢٥.

ومن الأشياء التى حكم عليها النحاة بالشذوذ وقد جاءت فى القرآن الكريم جمع فَعْل على أفعال فى قوله تعالى وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ [1] وجمع فاعل على فواعل وقد رد أيضا فى قوله تعالى رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ [2] [3].

وهناك بعض الأساليب العامية والتى أجازها المجمع حملاً على نظائرها الواردة فى القرآن الكريم وذلك نحو تسهيل الهمزة ففى العامية المصرية يقال: الراس، والكاس، والفاس، وبايع، وطاير، وطايل... بتخفيف الهمزة من الرأس، والكأس، والنفاس وبائع، وطائر، طائل... الخ حملا على قراءة أبى جعفر يزيد بن القعقاع [4] بتسهيل الهمزة من اسم الفاعل الأجوف فى قوله تعالى أَنِيَ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً [5] وبقراءة مماثلة فى قوله تَائِبَاتٍ [6] بتسهيل الهمزة إلى ياء (نايبات) [7].

ومن تلك الأساليب أيضا قولهم: عاديت على محمد وعلى بخفض المعطوف دون إعادة الخافض وذلك حملاً على قراءة حمزة [8] فى قوله تعالى وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ [9].

ومن ثم دعا الإصلاحيون[10] إلى إصلاح علم النحو، بالرجوع إلى القرآن الكريم فى تأصيله، وتدريسه؛ لأن النحاة أساءوا غير عامدين إلى القرآن حين اعتمدوا فى تقعيدهم على لغات

---

(١) سورة الطلاق آية ٤.

(٢) جمع خالف وهو القاعد عن الحرب.

(٣) سورة التوبة آية (٨٧).

(٤) تنظر القراءة فى: الإتحاف صـ٢٢٤ – والقراءة بالألف والهمزة (طائرا) منسوبة لنافع فى الحجة للفارسى ٤٥/٣.

(٥) سورة آل عمران آية (٤٩).

(٦) سورة التحريم آية (٥).

(٧) قراءة حمزة تنظر القراءة فى: معجم القراءات ٥٢٥/٩ – كتاب الألفاظ والأساليب ٩٢/٢ – ٩٣.

(٨) تنظر الحجة للفارسى ١٢١/٣ .

(٩) سورة النساء آية (١).

(١٠) د / طه حسين و د. محمد بهجة الأثرى.

قبائل وسط الجزيرة وحدها وجعلوها أصلاً فبنوا عليها قواعدهم، ثم اخضعوا القرآن لسلطان تلك القواعد، وكان عليهم أن يستشهدوا بالقرآن على صحة الشعر [1].

الجدل حول اعتماد مبدأ القلة والكثرة

بعد أن صار شبه اتفاق بين أعضاء المجمع بالأخذ بالقراءات، إلا أنهم اختلفوا فى شروط الأخذ بها من خلال اعتماد مبدأ القلة والكثرة فى استعمالها ووروودها فى القرآن الكريم، وقد نشأ هذا الخلاف حين اقترح أحد أعضائه [2] بجواز رفع المستثنى بإلا بعد كلام تام موجب[3].

فرد عضو آخر عليه رافضا متسائلا: كم مرة ورد الاستثناء الموجب مرفوعاً فى القرآن الكريم ؟ فأجاب: مرة أو مرتين هذا لا يعنى تأسيس قاعدة نحوية؛ لأن تقعيد القواعد يكون على الكثير الشائع فى الاستعمال، لا على القليل [4].

ورد عليه الشيخ محى الدين عبد الحميد بأن ما ورد فى القرآن الكريم مرة أو مرتين لا يحتج به فغير صحيح، وما ورد فى القرآن ولو مرة واحدة يؤسس قاعدة تامة، هذا حكم العقل والدين معاً.

وذلك لأننا نقرأ دائما أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش المشهورة وأنه ما استعمل إلا أفصح استعمال فى كل أسلوب تطرق إليه وكون القرآن يجئ مرة واحدة على نحو ما، ولا يجئ فى بقية المرات على هذا النحو فهو مسلم له، وعلى أنه أفصح ما يمكن للعربى أن يتكلم به ويجوز له الوجهان [5].

وإذا كان ورود الأمر فى القرآن الكريم مرة أو مرتين يؤسس قاعدة كما قال أ. محى الدين عبد الحميد، فما بال قراءة أبي عمرو – وغيره – بالإسكان فقد جاءت فى القرآن مرات عديدة وهى القراءة التى تنتمى للهجة التميمية كما ذكر علماء اللغة حتى صارت هذه اللهجة هى سمة من

---

(١) ينظر: البحوث والمحاضرات ٣٥/٧٨ – ٣٥ / ١٠٥.

(٢) أ / عباس حسن.

(٣) ينظر: البحوث والمحاضرات ٣٥ / ٦٢ – ٦٣.

(٤) ينظر: البحوث والمحاضرات ٣٥ / ٦٢ – ٦٣.

(٥) ينظر: نفس المصدر ٣٥ / ٦٢.

سمات اللهجة العامية المصرية، واللهجات العربية الأخرى من المحيط إلى الخليج ألا يدفعنا ذلك إلى تقعيد قاعدة جديدة تجيد إسكان المعرب حال الوصل كما تجيز الإظهار، وأن الإعراب وإن كان أهم القرائن النحوية التى تميز الفصحى إلا أن حال واقعنا العربى يرى بعاميته قرائن أخرى غيره، وليس معنى هذا أنه لم يعد للحركات الإعرابية أى وظيفة دلالية نحوية فى اللهجة العامية، بل يظل الإعراب حيا ما كان القرآن حياً فى القلوب والعقول وعلى الألسنة التى تقرأ بالفصحى مع كل حرف تتلوه للقرآن، وهذا رد على من يدعى أن الفصحى ستموت بموت الإعراب، والإعراب يموت إذا عاشت العامية.

وهذا كله كلام خاطئ، لأن تاريخ العامية قديم قدم الفصحى، حيث إن العامية استمدت خصائصها النحوية، والصرفية، والأسلوبية والمعجمية من الفصيح كما تشهد بذلك الآداب العربية نفسها.

وأما حذف الإعراب فى النصوص العامية، مبرر بقدر ما يبرر وجوده فى النصوص القديمة وبالتالى علينا أن نقبل حذف الإعراب لنقبل جميع الألفاظ العادية بدون تحفظ هذا ما قاله أ. محمود تيمور[1].

وقد وافقه أ / شفيق حسين المصرى فى وجوب الاهتمام بالعامية عندما رأى أن جمال العامية يكمن فى فلسفتها المخلصة؛ وحكمتها القويمة، وروحها الطريفة، ومرحها المستطاب، ولا يحجب كل ذلك إلا ما تجده من احتقار لدى المثقفين [2].

وأكد على ذلك أ / أحمد حسن الزيات الذى قال إن المجمع لا يأبه بالعامية؛ لأنها لغة المترل، والشارع، والسوق، والصناعة، والحقول [3] وقد ذكر الجاحظ ذلك من قبل. حيث أشار إلى أن تعقد المسألة بين الفصحى والمولدة بدأ منذ القرن الثانى الهجرى عندما طرأ على اللغة الفصيحة

---

(١) ينظر: العامية الفصحى – مجلة المجمع القاهرة ١٣ / ١٢٣

(٢) ينظر: مجلة المجمع بالقاهرة صـ ٢٧٩.

(٣) ينظر: المجمع واللغة العامة، مجلة المجمع بالقاهرة ٩ / ٣٣.

البدوية من تغير باحتكاكها بالمدن والفلاحين وباللهجات المحلية، وبملاصقات الباعة، وبمصطلحات التجار وأصحاب المهن البسيطة، والنطق الخاطئ، والتشدق اللغوى [1].

وبناء على ما تقدم فإن وجود العامية ضمن العربية الفصحى ليس بدعة فى تطور اللغـــات، بل تبين بوضوح أن اللغة صورة حية عن حياة الشعوب فلقد تطورت ألفاظها، ونحوها، وأســـاليبها حتى بعد نزول القرآن الذى فرض لهجة قريش وقواعدها حتى صارت لغة مستقلة تستحق قواعدها أن تقارن بقواعد العربية الكلاسيكية كما قال أ. عيسى إسكندر معلوف [2].

مما دفع المجمعى إبراهيم مصطفى أن يطلب من المجمع، الاعتداد بحجية ما وضـــعه الكتـــاب والشعراء المحدثون المعاصرون المشاهير حتى يؤخذ بآثارهم مساهمة فى إثراء اللغة العربية [3].

وزاد أ. أحمد حسن الزيات فى الطلب من المجمع أن يقرّ بأن العامية هى لغة عربية وهى أداة التخاطب الاجتماعى وملكا لمن يستعملها والتى تعتمد على كلام الناس المستخدم فى الاســـتعمال اليومى – أو السماع أى اللغة المسموعة أو الدارجة – وليس بالضرورة الكلام الذى يستعمله قلة من كتاب الدواوين ممن يستعملون لغة الأموات للتعبير عن حاجات أهل العصر من الأحياء [4] وأنا لا اتفق معه فى وصف الفصحى لغة الأموات؛ لأنها حية وباقية بقاء القرآن الكريم وكيف تكون لغة أموات وهى النهر الذى تستمد منه لغتنا العامية والتى تعد رِفد من روافدها فإذا جف النهر فهـــل يكتب للروافد البقاء ؟

وعلى الرغم من كل المحاولات الجادة التى تنادى بالتحديث والإصلاح اللغوى فقد علـــت صيحات بعض اللغويين من أمثال أ. محمد رضا الشبيبى، وأ. عائشة عبد الرحمن والمعروفـــة ببنـــت الشاطئ. فقد نبه الأول على الفساد الذى لحق متن اللغـــة الفـــصحى فى أصـــواتها، وألفاظهـــا،

(١) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٥٨٨ – ط ٢.

(٢) ينظر: موقف اللغة مجلة المجمع ٢٠٥/٧ – ٢١٨ .

(٣) ينظر فى أصول النحو – مصطفى إبراهيم – مجلة مجمع القاهرة ٨ / ١٣٦ –١٤٦.

(٤) ينظر: الوضع اللغوى – أحمد حسن الزيات – مجلة مجمع القاهرة ٨ / ١١٠ – ١١٦.

وتراكيبها، حتى تولد عن ذلك تراكيب مكتوبة مخالفة للأساليب القويمة ولهجات مقولة ليست عربية ولا أعجمية [1].

أما بنت الشاطئ فقد رأت أن الأسلوب متعلق بأبدية الإعجاز القرآنى والذى يجب أن يظل مرجع الكتابة والإبداع [2].

وهذا رأى يخالفه جانب من الصواب؛ لأن القرآن بأسلوبه الرصين، والبليغ يعطى للكاتب والأديب مقومات الكتابة والإبداع بأسلوب بليغ قائم على أسس وقواعد ثابتة راسخة، لكن هذا لا يمنع من التشجيع على مواكبة روح العصر من تغيرات لغوية، وأدبية بجرأة يتطلبها البحث فى هذا المجال، وتقبل كل ما هو جديد يفيد اللغة ويثريها، وقد اجتاحت الشعر الحر المعاصر، والرواية، والمسرح أشكال وصيغ وتعابيرات جديدة تستحق أن توصف وأن تصنف بحسب متطلبات التطور الحضارى والمعرفى.

❁❁❁

(١) ينظر: فقه الأساليب – محمد رضا الشبيبى – مجلة مجمع القاهرة ٩ / ٤٥ – ٤٦.

(٢) الإعجاز البيانى – بنت الشاطئ – مجلة المجمع بالقاهرة ٩ / ٤٥ – ٤٦.

النحو العربى فى عيون المجمع

انقسم المجمع على المحافظين الذين يؤكدون على عروبة النحو الكلاسيكى وخلوده وعلى الإصلاحيين الذين لهم موقف بعيد كل البعد عن موقف المحافظين، يدعو إلى التجديد والتطوير.

❁❁❁

مفهوم الإعراب وأهميته عند ثوار التجديد النحوى :

إن الإعراب عندهم يفيد عموم الوضوح، ولا يفيد كل المفاهيم التى ارتضاها له النحويون المحافظون؛ لأن اللغة والقرآن الكريم كثيرا ما تجاوزاه، حيث إنهما المعولان الأساسيان لتحرير النحو من قبضة الإعراب هذا ما دعا إليه أ. أحمد حسن الزيات [1] الذى قدم اقتراحاً بتجاوز مفهوم الإعراب بتصور نحوى وظيفى يستحسن وضعه بأن تتضح وظيفة الكلمة فى الجملة من خلال الخطاب والقالب اللغوى ومن ثم جاء الاقتراح صراحة بإلغاء علامة الإعراب من المسند إليه فى الجملة. وأيده فى هذا الاقتراح الذى يعد بداية ثورة عارمة على الإعراب والمجمعيان إبراهيم أنيس [2]، وإبراهيم مصطفى [3] اللذان يعتبران الإعراب مجرد وسيلة مصطنعة، وأن العلامات الإعرابية لا تعبر عن حالات، ولا عن وظائف فى الخطاب العربى، فالفتحة لا تعبر عن المفعولية بل هى حركة سهلة خفيفة ومطردة فى كلام العرب أما الضمة والكسرة فهما علامتان على الإسناد والإضافة وبالتالى هما لا يفيدان الإعراب. وأن قواعد الإعراب موضوعة على غرار النحو اليونانى، وبناءً عليه فهو لا يؤدى وظائف نحوية محددة، ولكن فرضه تواصل الكلمات فى الكلام، والإيقاع والتنغيم، لأن طبيعة الكلمة العربية السكون، مثلما تشهد بذلك قراءة ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ﴾ [4] والتى يقرأها الجمهور [5] (تبت يدا أبى لهب) بسكون الهاء وفتحها كما قالوا: وهْب ووهَب، ونَهْرُ نَهَر، واللهجات العربية المعاصرة والتى امتدت جذورها من أصول فصيحة تسكن ولا تعرب.

---

(١) ينظر: آية فى مجلة المجمع – القاهرة ١٢ / ٦١ – ٦٤.

(٢) ينظر: من أسرار اللغة، القاهرة صـ ٣٣٩ – ١٩٦٦م.

(٣) ينظر: إحياء النحو صـ ٢٠٠ – ١٩٥٩ م.

(٤) سورة المسد آية (١).

(٥) ينظر : الحجة لابن خالوية صـ٣٣٧ .

ودعا أ. إبراهيم مدكور إلى تصور النحو العربى خالٍ من كل ما ليس لنا به حاجة، ومن ذلك كثرة التأويلات، والتقديرات المستبدة بالصيغ والتراكيب التى تمنع النحو العربى من مواكبة متطلبات العصر؛ لأن الزمن يتطور وعلى اللغة أن تواكب تطوره [1].

ومن هنا يجب إعادة النظر فى النحو، وتخليصه من العلوم الفرعية حيث إن المشكلة الكبرى ناتجة عنها، وليس من الضرورة أن ترتبط المحافظة على اللغة بالمحافظة على تلك التفريعات، وعلينا أيضا أن لا نرفع دائما شعار أن اللغة الفصحى هى أشرف اللغات [2] لأن نظرة العالم إلى لغتنا مجرد نظرة عادية، ولا أريد أن أقول أنها دونية حتى لا أتهم أننى أناصر أعداء الإسلام بل النظر للأمور لابد أن يكون من جهة واقعية شاملة فإذا حققنا النظر سنجد أن اللغة العربية ربما فى المرتبة الثالثة أو الرابعة من بين اللغات وذلك من حيث كون انتشارها فى العالم، ويرجع السبب فى ذلك إلى أمور سياسية واقتصادية وثقافية قد ذكرها كثير من المصادر والمراجع التاريخية والسياسية واللغوية، وأزيد عليها ما ينطق به حال واقعنا اليوم.

وعلى سبيل الذكر فإن من أهم الثوار على النحو العربى أو التقليدى ابن مضاء الذى سجل انتقاداته فى كتاب سماه (الرد على النحاة)، ينتقد فيه المظاهر السلبية للنحو العربى مستمداً آراءه من المؤلفات النحوية البصرية – والتى كانت تميل إلى النحو القياسى المقنن – والكوفية التى تميل إلى النحو التحليلى الذى يعتمد على إحياء اللهجات والأخذ بالقراءات وأن يكون السماع بجوار القياس جنباً إلى جنب وقد عارض كثير من آراء النحاة القدامى ومن أشهر ما عارضهم فيه قضية العامل.

ومن ثم فإن المنادين بالإصلاح داخل أروقه المجمع قد زاد اهتمامهم بإصلاح النحو من خلال اعتمادهم على نصوص سابقة، وذلك بإحياء التراث الكوفى والأندلسى وتقييمه تقييماً علمياً بنشر مؤلفاته.

---

(١) ينظر: منطق أرسطو – مجلة المجمع القاهرة ٧ / ٣٤٦ – الأدب العربى مجلة المجمع القاهرة ١٥ / ٥.

(٢) ينظر: أصول صـ ١٧٨، بحوث (١٩٥٩ – ١٩٦٠) – محمد كامل حسين.

۞ المطالبة بتحديث النحو العربى :

من الصعب أن ننكر وجود مشكلة فى معايشة النحو العربى فى لغة العامة فكثير منهم يستصعب قواعدة ليس من أهل الطبقة الدنيا فقط، بل العليا أيضا، وليس صفوة المجتمع من الساسة وأصحاب النفوذ والمال أو حتى كل العلماء والأدباء فى هذا العصر الذى نعيش فيه، يستوعبون قواعده أو يفهمونها، أو يؤمنون بأهميتها أصلاً وللأسف الشديد أصبح هذا العلم مقتصرا على أهله ومريديه، ومن ثم أصبحت الحاجة ملحة إلى تطويره، ولكى يتحقق ذلك التطوير لابد أن نضع أيدينا على المشكلة وهى فى اعتقادى الاهتمام المنصب على تدريس النحو بمناهجه القياسية التقليدية وحتى نصل إلى دراسة نحوية مفيدة سهلة على الدارسين، محببة لنفوسهم، كان لابد من الدعوة إلى (النحو العصرى) والذى يهدف إلى تخليص النحو من عدة أمور:

١- فلسفة النحو التى يطغى عليها التخريج والتعسف بالنصوص.

٢- الإفراط فى القواعد من تعريفات طويلة، ومتشعبة، ومضطربة.

٣- الإكثار من المصطلحات والعلل النحوية [١].

٤- الإعراب التقديرى والمحلى [٢].

٥- اعتماد مصطلحى المسند والمسند إليه بحيث يندرج تحت سلطان الأخير الفاعل ونائبه، والمبتدأ، واسمى كان وإن، أما الأول فيدخل تحت لوائه الفعل، ومشتقاته، وخبر كان وإن.

٦- ضبط وترتيب عناصر الجملة الأساسية، والإضافية الخالية من الإعراب كما فى اللغة الصينية، فإذا انعدم الإعراب، لابد أن يحل محله فى العمل شئ آخر.

٧- اختصار بعض القواعد ذات الصيغ المتعددة كما فى باب التعجب والتحذير وأمثلة ذلك فى النحو التقليدى كثيرة.

٨- الأخذ بالألفاظ العامية شريطة أن تكون مستساغة وإن كان ليس لها مقابل عربى يمكن استعماله [٣].

---

(١) ينظر: مجلة المجمع ٦ / ١٨٥ - ١٩٦ - القاهرة.

(٢) ينظر: مجلة المجمع ٦ / ١٨٧ - ١٩٣ - القاهرة الدروس النحوية - لتلاميذ المدارس الابتدائية صـ ٣ - القاهرة ط الثانية ١٣٤٠.

(٣) مجموعة القرارات صـ ١٣.

٩- قبول السماع من العرب المحدثين شريطة أن تدرس كل كلمة على حدة قبل قبولها [١].

وإن كنت أرى فى العنصرين الأخيرين تعمد إلباس العامى لباس الفصيح ليتماشى واللغة الفصحى وهذا ربما يساعد على التطور.

ولعل هذا يكون بداية خطوة لتحديث وتطوير النحو ليتفاعل وكل معطيات ومعايير العلوم العصرية بكل أبعادها وهذه ليست مهمة اللغويين فقط بل مسؤولية تقع على عاتق علماء اللهجات والأجناس، والاجتماع، والتربية، لتصبح اللغة أكثر اتصالاً بالعلم وذلك لأن العوامل العالمية والمحلية تتطور بعنف فقد أصبحنا نرى رجل الشارع الذى شعر بمكانته فى المجتمع بفضل التعليم يحاسب الخطباء، والسياسيين، والصحفيين على لغتهم، وقد أصبحوا بدورهم مجبورين على الاتصال به على سبيل لغة مشتركة [٢].

وبالمقابل فقد رد المجمعيون المحافظون ولاسيما الأزهريون بالرفض القاطع لكل المحاولات التى تنادى بالتجديد والتحديث وأكدوا على الحفاظ على عربية اللغة وهويتها والتى تتمثل فى النحو وعلاماته الإعرابية بنفس القواعد التقليدية ومن ثم فقد أغلق باب الوضع والتجديد والحداثة على نظرتهم فى الاعتزاز بالفصحى واعتقادهم بتمامها وكمالها وكان لموقفهم هذا أبلغ الأثر فى الإضرار بمكانة الفصحى على الحياة اللغوية والأدبية مما ساعد ذلك على طغيان العامية – والتى قد تسربت بكل أدب واحتشام إلى ألسنة أعضاء المجمع اللغوى العربى – وسيطرتها على حياة الأمة فى شئونها العامة والخاصة وأغراضها المختلفة؛ لأن العامية حرة تقبل من كل إنسان، وتستمد من كل لغة وتصاغ على كل قياس، وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة والمقتبسة فى المنزل، والمصنع، والسوق، والشارع.

وساعد أيضا حرمان الفصحى من خصائص كل اللهجات التى تفرعت عنها وما خلفته من ثروات لفظية ونحوية ومن كل ما وضعه المولدون من الألفاظ وما اقتبسوه من الكلمات، حيث إن

---

(١) نفس المصدر صـ ١٤.

(٢) ينظر : دراسات اللغة – سهير القلماوى – مجلة المجمع بالقاهرة ١١ / ١٧٥ .

اللغويين الذين عينوا أنفسهم حراس على اللغة الفصحى وأسرارها رفضوا أن يعترفوا بهذه الثروة الضخمة فحرموها مورداً ثرياً مليئاً بالدرر [1].

تعقيب:-

وفى الختام أرى أن الذين يقفون أمام الأخذ من المولد، واللهجات العربية غير المشهورة، والذين يقفون أمام كل محاولة للتجديد والتطور، والذين يعتبرون مبدأ الاعتراف باللهجة العامية بجملتها يعد خرقاً للفصحى هم أنفسهم الذين يعترفون بأن الإعراب مجرد قرينة نحوية تميز الفصحى، وقد تم الاستغناء عنها فى العامية المعاصرة، وحلت محله قرائن معنوية من خلال القوالب اللغوية والأسلوبية، وأن حذف الحركة فى الوصل وهو ما أسميه (بسكون لام الكلمة فى العامية) لا يعد ظاهرة جديدة طرأت على المجتمعات العربية المعاصرة ولا هو ضرورة أو غلط كما يدعى النحاة بل هو حقيقة مؤكدة لها جذورها فى الفصحى حيث تنسب إلى قبائل عربية يشهد لها بالفصاحة كتميم، وبكر بن وائل، وتغلب، وأسد، وعبد قيس، وبعض نجد طلباً للتخفيف [2] وعقيل، وكلاب، وأزد السراة [3] وهى تتلاءم وطبيعة تلك القبائل البدوية، التى تميل للنطق الذى ينتهى إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد.

❁ ليس دفاعاً عن العامية :

طالما اتهمت العامية أنها المفسدة للذوق العام، وأنها الأداة التى يحاربنا بها أعداء الإسلام بطمس الهوية العربية من خلال لغتها وهى (لغة القرآن) تلك هى مؤامرة – لمحاولة إبعاد المسلمين عن كتابهم المقدس، ومن ثم يجب تدميرها لتشتيت المسلمين فى العالم وقد قرأت كثيراً عن هذه المشروعات لضرب اللغة الفصحى بالعامية، والحقيقة وإن كنت هنا لا أدافع عن العامية، إلا أننى لا استطيع أن أهاجمها، فهى لم تطلب منا كمستخدمين لها أن تحل محل الفصحى ولا أن نسمح لنفسها أن تكون سلاحا تحارب به اللغة الفصحى لأنها بكل بساطة ويسر (وليدة الفصحى)، وإن كانت قد

(١) ينظر: مجلة المجمع بالقاهرة ٨ / ١١٤.

(٢) ينظر: معجم القراءات ١٠٠ – ١٠١.

(٣) ينظر: اللهجات العربية ٢ / ٧٧٣.

استغنت عن بعض سمات وخصائص اللغة الأم، إلا أنها اتخذت خصائص أخرى تعوضها عن تلك الخصائص، وإن كان الإعراب يعد أحد، وأهم القرائن اللغوية إلا أنه توجد قرائن أخرى تفيد ما يفيده الإعراب ولكن يحرص النحاة عليه؛ لأنه يشكل العنصر الجوهرى والأساس ليتميز الفصحى عن سائر اللغات واللهجات، ولأهميته بالنسبة للقرآن الكريم من حيث الضبط والإحكام، هو الذى جعلهم ينكرون لهجة تميم الناطقة بالإسكان فى حال الوصل وما أقوله لم يأت من فراغ.

وإنما هو مبنى على ما انتهى إليه علماء النحو فى عصرنا الحديث والمعاصر بمناداة تيسير قواعد النحو – لتواكب العصر – القائم فى الأصل على إجازة الأخذ من كل اللهجات حتى ولو كانت مخالفة للقياس المتعارف عليه، حتى يدخل الغريب والشاذ وغير المطرد إلى القياس وتكون بذلك القواعد قد احتوت كل اللهجات بما فيها العامية، وقد ظهر أثر ذلك فى مسميات المؤلفات النحوية الحديثة كالنحو الميسر ، والنحو الأساسى ، والنحو العصرى ، وتيسير الإعراب ، وما هى إلا أشكال مختلفة لقواعد ميسرة يمكن أن يفهمها الناس فتساعدهم على تعلم اللغة.

وما أراه واضحا جليا أن المثقفين وأعلام اللغة الفصحى وعلمائها وحماة العربية الذين يتمسحون فى سلطانها ليأخذوا مكانة مرموقة فى مجتمعهم، إذا رأيتهم فى واقع حياتهم اليومية فى بيوتهم مع أهلهم، وأبنائهم، وأصحابهم ومعارفهم، وجيرانهم..... الخ لا يتكلمون إلى العامية الساكنة.

وفى مجال الثقافة والفن نجد الأغانى، والمسلسلات والأفلام والمسرحيات التى يقبل عليها الناس ويحرصون على الاستماع إليها باللغة العامية الساكنة. ولم تقتصر العامية على كونها لغة تخاطب ومشافهة، بل صارت لغة نوع من الأدب يسمى (الأدب العامى) وهذا النوع من الأدب له أصوله وقواعده، وأهدافه، ومقاصده، ويقبل عليه الكثير من الناس ومن أشهر أرباء هذا المجال محمود بيرم التونسى وأزجاله الشعبية العامية فى السياسة والاجتماع، وصلاح جاهين ورباعياته بالعامية، وعبد الرحمن الأبنودى وشاعريته الإبداعية المتميزة بالعامية فى سيرة أبى زيد الهلالي، وحواراته الشعرية، والتى هى فى غاية الإبداع والتى يقبل عليها الناس بشكل كبير، وغيرهم من الشعراء المعاصرين كثير فإذا كان هذا حال العامية مع الكتاب والأدباء، فما أراها إلا وقد نالت رُقيا وتقدماً ورفعة، بعبقرية هؤلاء الأعلام الموهوبين فى أدبها وكان يجب على المثقفين وحماة الفصحى

أن يأخذوا بأيدى هؤلاء المبدعين ليقتربوا بهم أكثر إلى الفصحى، أما القطيعة فلم تثمر إلا التنافر والتباعد.

ومن المؤكد أن الشعر الشعبى المنظوم باللغة العامية كان موجوداً فى العصر الأموى، وأن العربية اختلطت بلغات أخرى مختلفة، وظهرت على ألسنة الناس مفردات أجنبية كثيرة، وألفاظ عربية ملحونة.(١)

ومن المعروف أن الأمم والشعوب على توالى العصور وفى شتى البقاع تخترع لأنفسها لغات ولهجات تتخاطب وتتفاهم بها لكونها أسهل فى الاستخدام من اللغات التى يستخدمها الخواص من الناس. وأن عامية التخاطب ليست شيئاً منفصلاً عن اللغة الفصحى الرسمية المعتمدة، وليست عامية لغة أخرى بل هى عامية عريقة فى نسبها لأنها من صنع مجتمعنا العربى، وإن كانت خاليها من قواعد النحو والصرف فذلك لأن العربية الفصحى فى ماهيتها لغة تتطلب من كل قارئ أو سمتمع لها أن يكون داعيا فاهماً لكل ما ينطق أو يسمع، وبدون هذا الوعى والفهم لن يستقيم للفصحى إعراب، والمراد على صحة الإعراب واستقامته يحتاج إلى معرفة بقواعده وأصوله وربما يصعب على كل مستخدمى اللغة تحقيق ذلك ومن ثمّ لجأوا إلى العامية الساكنة دون إعراب، وفقدان الإعراب لا يعد انحطاطاً (٢)، بل ربما يكون تطوراً للغة فى حياة المجتمع.

ومن ثم يرى الأستاذ نصر الدين البحرة الذى يقول – فى مقال له بعنوان (لغة الضاد فى معاركها مع العامية) (٣) – : إن العامية كائن غير قابل للاستمرار فى الحياة، وأنها تحمل فى ذاتها بذور فنائها بسبب عدم قابليتها للإعراب. أقول له انظر حولك، وتأمل واقعك، واستمع إلى الناس فى مجتمعك ستعرف وقتها أن الإعراب ليس له وجود، ومع ذلك فالعامية باقية، ومتمكنة من خصائصها وقواعدها وصارت أكثر انتشاراً من الفصحى لأنها من روافد الفصحى.

---

(١) ينظر: الشعر الشعبى العربى صـ ١٠٤ وما بعدها .

(٢) ينظر : نحو عربية ميسرة صـ١٢٣ – ١٢٤.

(٣) ينظر : مجلة التراث العربى – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب – دمشق – العدد ٧٣ – جمادى الآخرة ١٤١٩هـ – أكتوبر ١٩٩٨م.

أما إذا أردنا أن نساير الواقع ونعيد للفصحى مكانتها فى الاستخدام فعلينا أن نأخذ أن نساء الواقع ونعيد مكانتها فى الاستخدام فعلينا أن نأخذ بأيدى العامية لنرقى بها إلى لغة الفصحى بنظمها وأحكامها وضبطها ويتمثل ذلك فى الاعتراف بها، وعدم محاربتها وكأنها كائن شاذ يجب طرده من المجتمع، وعلينا أيضاً الاعتراف بسلطانها على ألسنة الناس، وأقلام الكتاب والأدباء.

ثم نبدأ فى التخطيط المنهجى السليم والذى يتشارك فيه البيت مع المدرسة حتى يكون أول ما يسمعه الطفل فى البيت من الأبوين من نعومة أظافره هو العربى الفصيح، مع البيت يأتى دور المدرسة والخبراء المتخصصون فى وضع مناهج خالية من الأخطاء اللغوية وتهذيب المناهج من الحشو الذى يبعث على نفور الطالب من تعلم لغته الفصحى وتيسر قواعد الإعراب بالتخلص من التعليلات والافتراضات.. الخ.

ثم تنشيط دور المجاميع اللغوية فى الوطن العربى، لتعريب المصطلحات العلمية ونحت أسماء المخترعات المستحدثة على أن تكون مصطلحات ذات مفردات ميسورة ليسهل التعامل بها.

والعمل إحياء الهمم حتى يقبل الباحثون على المشاركة وبذلك الجهد فى العمل على دراسات لغوية واعية ومناهج تربوية رشيدة تحبب الأطفال فى لغتنا العربية وتحدثهم على التحدث بها وخطوة من البيت إلى المدرسة إلى الجامعة إلى الإعلام، إلى الشارع، إلى وسائل المواصلات والطرقات والميادين العامة والمنتديات تنتشر اللغة العربية الفصحى المنقحة وتحل محل العامية.

وأخيراً فإنه يعز على كل نحوى أن يعترف بتلاشى الإعراب مع زحف سكون العامية، ولكن مع العمل المستمر للتقريب بين الفصحى والعامية، ستحتوى الفصحى عاميتها، ويعود للإعراب مكانته التى كانت له فى الماضى وإن كان مازال له أثر من الرسوخ والثبوت حتى الان يدلك على ذلك : أن يتعلم اللغة العربية من المعتنقين الجدد للإسلام أو غير المعتنقين لابد أن يتعلم القرآن، الذى لا يدرس إلا ومعه قواعد الإعراب وأحكام الضبط.

ونرى أيضاً أن الطلاب الوافدين إلينا من جميع أنحاء العالم شرقاً وغرباً ممن لا يجيدون التحدث بالعربية – فى الجامعات، يطلبون من أساتذتهم أن يتحدثوا بالفصحى لأنها لغة القرآن وهم لا يفهمون غيرها.

وحينما ينظر للقصائد العربية، المحكومة بإعراب الفصحى نراها خير مُعلّم عندما يتغنى بها المطربون فيرددها خلفهم الناس، وهذه الوسيلة تعتبر وسيلة جيدة لتعليم الفصحى وتدريب ألسنة الناس عليها دون أن يجدوا صعوبة فى ذلك وهذا ما أكدته المطربة اللبنانية ماجدة الرومى – وهى مسيحية الملة – عندما سئلت فى أحد البرامج التليفزيونية لماذا تغنين بالفصحى ؟ أجابت : لأنها لغة القرآن ولأنها تصل إلى جميع الشعوب العربية، وأما اللهجات سواء أكانت مصرية أو خليجية، أو سعودية، أو عراقية، أو شامية أو مغربية فقد يفهمها شعب دون الآخر – فكأنها تؤكد بكلامها هذا أن الفصحى تجمع شمل العرب وتصنع مالم يستطع القادة العرب صنعه. ومن ثمّ فرسوخ الفصحى باقٍ بقاء القرآن.

الخاتمة

وفى ختام تلك القضية أود أن أؤكد على أن الإعراب ودلالاته قد استحوذ على فكر المستشرقين واللغويين من العرب قديماً وحديثاً، وما زال الباحثون والدارسون، والمتخصصون، وغير المتخصصين والمتثقفون وأشباه المثقفين فى كرٍّ وفرٍّ من هذه القضية، حتى تضخمت وتحولت إلى بناء ذهنى، وإلى قيمة شرقية، وجد فيها العقل ملاذه ليستعرض قدراته، فكثرت القواعد، وتزاحمت المؤلفات بالتفريعات، والتعليلات، والافتراضات وتقبل الناس كل ذلك لأنها تحولت إلى لعبة عقيلة يستمتع بها العلماء، ويمارسون من خلالها سطوتهم على الأدباء، ولا حل لهذه القضية إلا بالنظر إلى كل ما جاء فى كتب النحاة نظرة علمية تتخلص من الافتراضات الذهنية والقياسات العقلية . وحينئذ سنجد أنفسنا فى حاجة إلى خطوة أبعد مما يسمونه تيسير النحو أو تجديده، خطوة لا تكتفى بعمليات الترقيع وإنما تهدف إلى ثورة جذرية[1] . تهدم الستار الواهى بين الفصحى والعامية، لأنه ليس من الخير أن تقوم بينهما تلك الفجوة التى تؤدى فى نهاية الأمر إلى ابتعاد العامية عن الخاصة، والمثقفين عن باقى طبقات الشعب، ولا الطبقة العليا عن الدنيا، ولا اللجوء إلى اللغات الأجنبية فنقتبس منها كلمات لنعربها، وفاءً بمتطلبات الحياة المعاصرة فمن باب أولى أن نفتح الباب للعامية حتى تدخل بمفرداتها وخصائصها جميع الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية ؛ لأنها نسجت بيتها وأسسته، وأصقلته من اللهجات العربية الفصيحة، مما يدفع الفصحى إلى مزيد من الدقة والوضوح، والمرونة فمن ثمَّ تستحب الفصحى الأم للحياة المتجددة والمتطورة، واحتراماً للعامية والتى ترجع جذورها إلى اللهجات الفصيحة علينا أن نسميها (العامية الفصحى) .[2]

وبعد أن انتهيت من هذه الدراسة المتواضعة، خلصت منها بعدة نتائج أهمها :

١- احترام جميع اللهجات العربية، والتى لو أُخذ بها لكانت للفصحى ثروات لغوية طائلة .

٢- سكون آخر المعرب حال الوصل فى العامية له جذوره الثابتة فى لغتنا الفصحى .

---

(١) ينظر : الإعراب ظاهرة جمالية – د/عبد الحميد إبراهيم ص١٥٩ – ١٦٨ فى مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة – العدد ٥٧ : ٥٩ – ١٨٦ .

(٢) ينظر : مشكلات اللغة العربية – محمود تيمور ص٢٠٦ .

٣- القرآن الكريم هو الوعاء الذى يضم جميع اللهجات العربية والتى تمثلت فى القراءات السبع، والقراءات المنعوتة بالشذوذ، وقد عُنى القرّاء بها من حيث التحرى فى الضبط، والدقة فى التلقى، والاستماع، والرواية .

٤- قراءة أبى عمرو بالإسكان هى قراءة تميمية، فصيحة لأن الإسكان مشهور عنهم فى لام الكلمة كما فى عينها .

٥- رواية السوسى عن أبى عمرو، هى الرواية الأدق، وذلك لتوافره عليها، وتخصصه فى قراءات أبى عمرو .

٦- العمل على بناء نحو عربى خالٍ من التفريعات، والتعليلات، ليسهل دراسته على كل من يطلبه .

٧- تفعيل دور المجمع اللغوى فى كل البلدان العربية، لتنشيط المجال اللغوى وربط مستحدثات العامية بأصول الفصحى .

أهم التوصيات :

١- تشجيع الكبار والصغار على الإقبال على دور تحفيظ القرآن الكريم لتدبره، وفهمه، ومعرفة قراءاته المختلفة .

٢- إيجاد آليات عمل – تعالج جميع مسببات الضعف اللغوى التى استشرت فى المدارس، والجامعات، ووسائل الإعلام العربى المقروءة والمسموعة والمرئية، وأصبحت مهددة لعربيتنا الفصحى – وذلك للتقريب بين الفصحى والعامية فى الوطن العربى .

٣- دعم العلماء والطلاب الدارسين للغة العربية مادياً ومعنوياً لتشجيعهم على الاستمرار فى دراسة اللغة العامية وربطها بالفصحى، والعمل على حل مشكلاتها، وتنقيحها مما هو رديء أو دخيل، حتى يظل ترابط أجيال العامية متواصل باللغة الأم .

٤- على القادة والساسة تشجيع شعوبهم على تعلم اللغة العربية ليتسنى لهم فهم القرآن الكريم عن طريق التلاوة الصحيحة والتى بدورها لن تتحقق إلا بتعلم اللغة العربية ومعرفة أحكامها وضوابطها .

٥- العمل على جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى جميع المحافل الدولية .

٦- مطالبة جميع الجامعات العربية، والمراكز العلمية المتخصصة والتى تولى اهتمام خاص باللغة الفصحى وآدابها بتدريسها نظرياً وتطبيقاً فى جميع الكليات لتخريج أئمة، ودعاة ووعاظ، وأساتذة على مستوى المسئولية، أكفاء وأصحاب فكر مستنير، وعقلية سوية متفتحة تجيد الأداء اللغوى البعيد عن الغلو فى ألفاظ الفصحى، وأساليب العامية المفرطة .

وأخيراً ستظل الفصحى هى الأم التى تجمع شمل اللهجات العربية، ليظل الترابط بين أبناء الشعوب باقياً، وأن الانتصار للعامية يعد انتصاراً للفصحى، حيث هى وليدتها وحاملة لخصائصها، ومفرداتها، وأساليبها . والله الموفق

د/إيمان أحمد إسماعيل حمودة

ليلة الأربعاء ١٠ من شوال ١٤٣٠هـ

الموافق ٢٠٠٩/٩/٢٩م

ثبت المصادر والمراجع

- إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للشاطبى ، تحقيق/ إبراهيم عوض – طبعة مصطفى الحلبى بمصر ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر – للبناء – دار الكتب العلمية – بيروت ط٣ – ٢٠٠٦م.
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم – للمقدسى – ط٢ – ليدن نشره : دى غويه.
- إحياء النحو – إبراهيم مصطفى – القاهرة ١٩٥٩م .
- إحياء النحو – إبراهيم مصطفى – لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١.
- أخبار النحويين البصريين للسيرافى – ط١ – د/ محمد إبراهيم البنا – دار الاعتصام ١٩٨٥م.
- آداب الكاتب لابن قتيبة – تحقيق / محمد الدالى – مؤسسة الرسالة بيروت – ١٩٨٢م .
- أدب الكاتب – لابن قتيبة – تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد – مكتبة السعادة – مصر – ط٤ – ١٤٦٣هـ.
- أدلة النحو – د/عفاف حسين – المكتبة الأكاديمية.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى – تحقيق د/ رجب محمد عثمان – مكتبة الخانجى المصرية.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأريب – لياقوت الحموى – نشر مرجليوت – ليدن ١٩٠٧ – ١٩٢٦م.
- أساس البلاغة – للزمخشرى – دار الفكر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – مكتبة الجامع الكبير.
- أسرار العربية – للأنبارى – طبعة ليدن ١٩٨٦م.
- أسرار العربية للأنبارى – مطبوعات المجمع العلمى العربى – دمشق ١٣٧٧هـ – ١٩٧٥م.
- إعراب القراءات السبع لابن خالويه.
- إعراب القرآن للنحاس – تحقيق د/ زهير غازى زاهد – ط٢ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- الإتقان فى علوم القرآن – جلال الدين السيوطى – مطبعة حجازى.

- الأسرار - المرفوعة فى الأخبار الموضوعة - للملا على القارى - ط دار الأمانة - مؤسسة الرسالة - بيروت .
- الأشباه والنظائر - للسيوطى - حيدر آباد.
- الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس - ط٢ - القاهرة .
- الأصول فى النحو - لابن سراج - تحقيق د/ عبد الحسين القتلى مؤسسة الرسالة.
- الإضاءة فى بيان أصول القراءة - على الضباع - طبعة القاهرة ١٩٣٨م.
- الأضداد لابن الأنبارى - القاهرة ١٣٢٥هـ.
- الأفعال - لأبى القاسم على بن جعفر السعدى - دار النشر - عالم الكتب بيروت- ط١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - مكتبة الجامع الكبير.
- الأفعال المتعدية بحرف - موسى بن محمد بن المكتبانى الأحدى - مكتبة الجامع الكبير.
- الاقتراح للسيوطى - تحقيق د/ محمود سليمان ياقوت - ط حيدر آباد.
- الإقناع فى القراءات السبع لابن الباذش - تحقيق د/ عبد المجيد قطاش - دمشق ١٤٠٣ م.
- الآمالى فى لغة العرب - لأبى على القالى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م - الجامع الكبير.
- الأمالى لابن الحاجب - تحقيق د/ فخر صالح سليمان قدار - دار عمار - دار الجيل - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الآمالى لابن الشجرى - ط١ - دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٤٩هـ.
- إنباه الرواة للقفطى - تحقيق/ محمد أبى الفضل إبراهيم - ط/دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.
- الإنصاف فى مسائل - الأنبارى - تحقيق/ محيى الدين عبد الحميد حجازى - ١٩٤٥م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - تحقيق/ محيى الدين عبد الحميد - دار الفكر.
- الإيضاح فى علل النحو - للزجاجى - تحقيق د/مازن المبارك.
- إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله U - للأنبارى - تحقيق/محيى الدين رمضان - من مطبوعات المجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م.

- البحر المحيط – لأبى حيان الأندلسى – دار الفكر.
- بغية الوعاة – للسيوطى – دار الكتب العلمية .
- بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة – للسيوطى – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – الجامع الكبير .
- البيان فى غريب إعراب القرآن – للأنبارى – تحقيق د/طه عبد الحميد طه – الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب – المقريزى – تحقيق د/ عبد المجيد عابدين – عالم الكتب – ط١ – ١٩٦١.
- البيان والتبيين – للجاحظ – بيروت – ط / مكتبة الجامع الكبير – وط / القاهرة ١٣١١هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس – للزبيدى – القاهرة ١٣٠٦ – ١٣٠٧هـ – مكتبة الجامع الكبير.
- تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعى – مطبعة الاستقامة ١٣٥٩هـ – ١٩٤٠م.
- تاريخ اللغة العربية فى مصر – أحمد مختار عمر – القاهرة ١٩٧٠.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام – للخطيب البغدادى – القاهرة ١٣٩١ – الأغانى للأصفهانى – دار الكتب.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان – تحقيق/ عبد العزيز مطر – القاهرة ١٩٦٦.
- تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة – لابن الجزرى – تحقيق/ عبد الفتاح القاضى، ومحمد قمحاوى – ط١ – ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م – حلب.
- تقريب المعانى فى شرح حرز الأمانى فى القراءات السبع – تأليف/ سيد لاشين ، خالد بن محمد الحافظ – مكتبة دار الزمان ١٤٢١هـ – المدينة المنورة.
- تهذيب التاريخ – ابن عساكر – مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥١هـ.
- تهذيب التاريخ – لابن عساكر – طبعة التركى – دمشق ١٣٥١هـ .
- تهذيب اللغة – لأحمد بن فارس – تحقيق/ محمد عوض – دار إحياء التراث العربى – ط١ – بيروت – ٢٠٠١م – الجامع الكبير – لسان العرب – لابن منظور – مكتبة الجامع الكبير.

- التبيان فى إعراب القرآن - العكبرى - دار ابن خلدون.
- التحفة البهية - لحمزة فتح الله - القاهرة - المكتبة الشاملة.
- التذكرة فى القراءات الثمان - لابن غليون المقرئ الحلبى - تحقيق/ أيمن رشدى سويد - سلسلة أصول النشر (١) - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة.
- التصريح بمضمون التوضيح - للشيخ خالد الأزهرى - مطبعة إحياء التراث العربى - مصطفى الحلبى.
- التعريب - مصطفى بدر - دار الفكر العربى.
- التعريفات للجرجانى - بيروت ١٤٠٥ ط١ - تحقيق/إبراهيم الأنبارى - الجامع الكبير.
- التيسير فى القراءات السبع - لأبى عمرو الدانى - عنى بتصحيحه أوتويرتزل - دار الكتب العلمية - بيروت.
- الجامع الكبيرة لأحكام القرآن للقرطبى - دار إحياء التراث العربى - بيروت .
- الجمهرة لابن دريد - ط١ - دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن ١٣٥١هـ.
- الحجة فى القراءات السبع - للفارسى - تحقيق / لجنة من الأساتذة - ط دار المأمون - وط دار الكتب المصرية .
- الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه - تحقيق / عبد العال سالم مكرم - دار الشروق .
- الحجة فى علل القراءات السبع - للفارسى - تحقيق/على النجدى ، عبدالفتاح إسماعيل - دار الكتب المصرية - ط٣.
- الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية - فون كريمر.
- الحياة المعاصرة (مجموعة البحوث التى قدمت لمؤتمر برتستون للثقافة الإسلامية) جمع ومراجعة وتقديم أ/محمد خلف - مكتبة النهضة المصرية.
- الحيوان للجاحظ - القاهرة ١٣٢٣هـ.
- الخصائص - ابن جنى - تحقيق/ محمد على النجار - المكتبة العلمية.
- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون - للسمين الحلبى - تحقيق/ مجموعة من الأساتذة - دار الكتب العلمية - بيروت.

- الدرر اللوامع – للشنقيطى – وضع حواشيه/ محمد باسل عيون السُّود – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- الدروس النحوية لتلاميذ المدارس الابتدائية – القاهرة – ط ٢ – ١٣٤٠هـ .
- الروض الأنف للسهيلى – مكتبة الجامع الكبير لكتب التراث العربى والإسلامى .
- السبعة فى القراءات – لابن مجاهد – تحقيق : شوقى ضيف – دار المعارف.
- السناء فى تصريف الأسماء – د/عوض شحاته – مطبعة اللوتس.
- الشعر الشعبى العربى – د/حسين نصار – المكتبة الثقافية – (٦٠) مايو ١٩٦٢ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة – ط٢ – مطبعة المعاهد.
- الصاحبى لابن فارس – مكتبة المشكاة الإسلامية .
- الضرائر الألوسى – شرح محمد بهجة الأثر البغدادى .
- العبر فى أخبرا من غبر – للذهبى – المكتبة الشاملة .
- العربية دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب – تأليف/ يوهان فك – ترجمه وقدم له د/ رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى بمصر ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – ط٣ – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م – الجامع الكبير .
- الغاية فى القراءات العشر يليه باب فى الاستعاذة والتسمية وإقالات قتيبية عن الكسائى – للأصبهانى – تحقيق / محمد غياث الجنبار – ط ٢ – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م – دار الشواق للنشر .
- الفائق فى غريب الحديث – للزمخشرى – ت/على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم – ط١ – ١٣٦٤ – ١٩٤٥ – القاهرة – دار إحياء الكتب العربية.
- الفريد فى إعراب القرآن المجيد – للهمدانى – تحقيق د/فهمى حسن النمر – د/فؤاد على مخيمر – دار الثقافة .
- الفريد فى إعراب القرآن المجيد للهمدانى – تحقيق د / محمد حسن النمر – ط دار الثقافة – ط١ – ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

- الفهرست – لابن النديم – المطبعة الرحمانية – مصر ١٣٤٨.
- القاموس المحيط – للفيروز آبادى – دار الحديث – القاهرة بدون تاريخ – مكتبة الجامع الكبير.
- القراءات القرآنية فى علم اللغة الحديث – د/ عبد الصبور شامية – القاهرة ١٩٦٦م.
- القياس فى اللغة العربية – محمد حسن عبد العزيز – دار الفكر العربى – ط١ – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- الكافى فى القراءات السبع – الرعينى الأندلسى – تحقيق / أحمد محمد عبد السميع الشافعى – دار الكتب العليمة .
- الكامل للمبرد – المكتبة التجارية جزءان – ١٣٦٥هـ.
- الكتاب – لسيبويه– تحقيق د/ عبد السلام هارون– دار الجبل بيروت.
- الكشاف – للزمخشرى – اعتنى به خليل مأمون شيحا – دار المعرفة – بيروت – ط٢ – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- اللباب فى علل البناء والإعراب – للعكبرى – تحقيق/ عبد الإله النبهان – دار الفكر – دمشق – ط١ ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة – د/ حسن ظاظا – دار الفكر العربى.
- اللغة معناها ومبناها– القاهرة ١٩٧٣ – تمام حسان.
- اللمع فى النحو – لابن جنى – تحقيق د/ حسين محمد محمد شرف – ط١ – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- اللهجات العربية فى التراث – د/أحمد علم الدين الجندى – الدار العربية للكتاب.
- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية – د/عبده الراجحى – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٨م.
- اللهجة العامية فى مصر دراسة تفصيلية – السيد محمد عاشور – ط ١٩٩٠م.
- اللهجة العامية فى مصر دراسة تفصيلية د/ السيد محمد عاشور ١٩٩٠م.
- المبسوط لشمس الدين السرخسى – دار المعرفة – بيروت .

- المثل السائر – لابن الأثير – بولاق ١٢٨٢هـ.
- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – لابن جنى – تحقيق/ على النجدى، وآخرون – القاهرة ١٣٨٦م.
- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز – لابن عطية الأندلسى – تحقيق / عبد السلام عبد الشافى محمد – دار الكتب العلمية – بيروت.
- المدارس النحوية – شوقى ضيف – دار المعارف ١٩٦٨م.
- المزهر فى علوم اللغة – للسيوطى – ط٢ – الحلبى – دار إحياء الكتب العربية.
- المسائل الخلافية فى النحو – للعكبرى – مكتبة المشكاة الإسلامية – ت/ ميلود بن عبد الرحمن ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).
- المساعد على تسهيل الفوائد – شرح ابن عقيل – تحقيق / محمد كامل بركات – دار المدنى – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .
- المستدرك على الصحيحين – للحاكم – دار الكتب العلمية – مكتبة الجامع الكبير .
- المعجم الأوسط للطبرانى – تحقيق / طارق بن عوض الحسينى – دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥ – المكتبة الشاملة .
- المعجم الوسيط – تأليف/ إبراهيم مصطفى – وأخرون – تحقيق/ مجمع اللغة العربية – دار النشر – الجامع الكبير.
- المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة د/ محمد سالم محيسن – دار الجيل بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ط ٢ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- المفصل فى علم العربية للزمخشرى – ط٢ – دار الجبل – بيروت.
- المقتضب – للمبرد – تحقيق/عبد الخالق عضيمة – عالم الكتب –بيروت.
- المقتنى فى سرد الكنى – الذهبى – تحقيق / محمد صالح عبد العزيز – المزاد – السعودية – مكتبة الجامع الكبير .
- المقرب – لابن عصفور – تحقيق/ أحمد عبد الستار الجوارى – وعبدالله الجبورى.
- المقنع فى معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط : أبو عمرو الدانى – تحقيق/ محمد أحمد دهمان – طبعة الترقى بدمشق ١٣٥٩هـ – ١٩٤٠م.

- الملادن – لابن دريد – القاهرة ١٣٤٧هـ.
- المناهج الكافية شرح الشافية – تحقيق د/ محمد إبراهيم عبد الله – رسالة دكتوراه نوقشت عام ١٩٨٤.
- المنصف – لابن جنى – ت/ إبراهيم مصطفى – عبدالله أمين – مكتبة مصطفى البابى الحلبى.
- المنصف لابن جنى – تحقيق/ لجنة من الأساتذة – إدارة إحياء التراث القديم – ط مصطفى الحلبى.
- المهذب فى القراءات وتوجيهها – د/محمد سالم محيسن – ط القاهرة.
- المواعظ والاعتبار – للمقريزى – بولاق.
- النشر فى القراءات العشر – لابن الجزرى – إشراف المراجعة/على محمد الضباع – دار الفكر.
- النقط – لأبى عمرو الدانى – مكتبة مشكاة الإسلامية.
- النهاية فى غريب الحديث – لابن الأثير – تحقيق/طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحى – المكتبة العلمية – بيروت.
- جامع الأحاديث للسيوطى – المكتبة الشاملة .
- جامع البيات عن تأويل أى القرآن – للطبرى – ط٣ – مصطفى الحلبى ١٣٨٨ – ١٩٦٨م.
- جمهرة أنساب العرب – ابن حزم – تحقيق/ عبد السلام هارون – القاهرة ١٩٦٢.
- جمهرة أنساب العرب – ابن حزم الأندلسى – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٢م.
- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل – ط١٣٥٩هـ – ١٩٤٠م – الحلبى مصر – و ط دار الكتب العلمية – بيروت.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى – المكتبة الكبرى.
- حجة القراءات – لابن زنجلة – تحقيق/ سعيد الأفغانى – مؤسسة الرسالة – ط٥ – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- خزانة الأدب – للبغدادى – تحقيق/محمد نبيل طريفى – إميل بديع يعقوب – ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨م.
- خزانة لأدب ولب لباب لسان العرب – للبغدادى – إشراف د/إميل يعقوب – دار الكتب

العلمية.

- دائرة المعارف الإسلامية – ترجمة ونشر دار الشعب – ط ٢ .
- دراسات فى العربية وتاريخها – محمد الخضر حسين – المكتبة الإسلامى – دمشق .
- دراسات فى فقه اللغة – صبحى صالح – الثقافة الإسلامية.
- درة الغواص فى أوهام الخواص – للحريرى – نشر توربيلة ليبزج ١٨٧١م.
- دلالة الألفاظ العربية وتطورها – د/مراد كامل ١٩٦٣ – مهد الدراسات العربية العالية.
- دور اللهجة فى التقعيد النحوى – دراسة إحصائية تحليلية فى ضوء همع الهوامع د/ علاء إسماعيل الحمزاوى – المكتبة الشاملة.
- ديوان أبى الأسود الدؤلى – تحقيق/ عبد الكريم الدجيلى – ط١ ١٩٥٤ – شركة النشر والطباعة العراقية – بغداد.
- ديوان الأخطل – شرح راجى الأسمر – دار الكتاب العربى – بيروت ١٩٩٢م – وطبعة دار الثقافة ١٩٧٩م.
- ديوان الأعشى شرح محمد محمد حسين – مؤسسة الرسالة – تحقيق / روزلف جابر قينا ١٩٢٧م .
- ديوان الدؤلى – تحقيق / عبد الكريم الدجيلى – ط١ – ١٩٥٤ .
- ديوان الراعى النميرى – تحقيق / راينهرت فايرت – نشر فرانش شتاير بفسيادن – بيروت – ط١ – ١٩٨٠م .
- ديوان الشماخ – تحقيق/صلاح الدين الهادى – دار المعارف – مصر.
- ديوان العجاج – تحقيق / عبد الحفيظ السطلى – دمشق .
- ديوان جرير – تحقيق / نعمان أدوين طه – دار المعارف – مصر.
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى – للألوسى – مكتبة دار التراث.
- سر صناعة الإعراب – لابن جنى – تحقيق د/ حسن هنداوى – دار الفكر – دمشق – ط١ – تحقيق/ لجنة من الأساتذة ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م.

- سراج القارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى – ابن القاصح – ط١ – ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م – ط حجازى.
- سمط اللآلئ فى شرح أمالى القالى – لأبى عبيد البكرى – تحقيق / عبدالعزيز الميمنى – مطبعة لجنة التأليف – ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م.
- سنن ابن ماجة – تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى – دار الفكر – مكتبة الجامع الكبير.
- سنن الترمذى – الجامع الصحيح – للترمذى – تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون – ط دار إحياء التراث العربى – بيروت .
- شرح ابن عقيل – تحقيق/ محيى الدين عبد المجيد – مكتبة دار التراث.
- شرح التسهيل – لابن مالك – تحقيق د/عبد الرحمن السيد ، د/ محمد بدوى المختون – هجر للطباعة والنشر.
- شرح الشافية – للرضى – تحقيق/ محمد نور الحسن وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت.
- شرح المفصل لابن يعيش – مكتبة المتنبى.
- شرح الموطأ – للزرقانى – ط بولاق ١٢٨٠هـ.
- شرح امرئ القيس / حسن السندوسى – المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٩م – دار الكتاب العربى ١٩٩٢م .
- شرح جمل الزجاج – الشرح الكبير – لابن عصفور الإشبيلى – تحقيق د/صاحب أبو جناح.
- شرح ديوان أبى نواس – ضبطه / إيليا الحاوى – الشركة العالمية – بيروت – ١٩٨٧م .
- شرح ديوان امرئ القيس – حسن السندوسى – المكتبة التجارية.
- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب – ابن هشام الأنصارى – تحقيق/ محيى الدين عبد الحميد – دار الفكر العربى – المكتبة العصرية للطباعة والنشر مكتبة الجامع الكبير.
- شرح شعلة على الشاطبية المسمى – كنز المعانى – شرح حرز الأمانى لابن الحسين الموصلى – ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م – نشر المكتبة الأزهرية للتراث .
- شرح شواهد المغنى للسيوطى – لجنة التراث العربى – علق حواشيه أحمد ظافر كوجان.
- شعب الإيمان – للبيهقى – دار الكتب العلمية – المكتبة الشاملة .

- صحيح البخارى – ط دار ابن كثير – بيروت – مكتبة الجامع الكبير .
- صحيح مسلم – ط دار إحياء التراث العربى – مكتبة الجامع الكبير .
- ضحى الإسلام – أحمد أمين – ط٢ – القاهرة.
- ضرائر الشعر لابن عصفور الأشبيلى – تحقيق/ السيد إبراهيم محمد – مكتبة كلية دار العلوم – برقم ١٤٠٢٧ – ك/٣٤٠٤.
- طبقات الشعراء – لابن سلام – طبعة أوربا.
- طبقات النحويين اللغويين للزبيدى – تحقيق د/ محمود شاكر – ط١ مكتبة الخانجى – القاهرة ١٩٥٤.
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى – تحقيق د/ محمود محمد شاكر – دار النشر : دار المدنى جدة – الجامع الكبير.
- ظاهرة الإعراب فى النحو العربى وتطبيقاتها فى القرآن الكريم – د/أحمد سليمان ياقوت – دار المعرفة الجامعية ١٩٩٤م.
- علم اللغة العربية – مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية – د/محمود فهمى حجازى – دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة.
- عيون الأخبار – لابن قتيبة – القاهرة ١٩٢٥ – ١٩٣٠.
- غاية الاختصار فى قراءات العشرة أئمة الأمصار – الهمذانى العطار – تحقيق د/أشرف محمد فؤاد طلعت – سلسلة أصول النشر ٣ – إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود .
- غاية النهاية فى طبقات القراء – ابن الجزرى – مطبعة السعادة ١٩٣٢م – القاهرة – الجامع الكبير.
- غيث النفع فى القراءات السبع – على النورى الصفاقسى – المسمى سراج القارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى – ط١ – ١٣٥٢هـ – مطبعة مصطفى محمد.
- فتوح البلدان – للبلاذرى – طبعة نسوة دى خويه – ليدن ١٨٦٦.
- فقه اللغة المقارن – إبراهيم السامرائى – بيروت ١٩٨٣م.
- فى إصلاح النحو لسعيد الأفغانى – مديرية الكتب – دار المطبوعات الجامعية.

- فى اللهجات العربية – إبراهيم أنيس – القاهرة.
- قاصرات الطرف المنبئات عن مكنون شذا العزف فن الصرف – شرح د/عبد المنعم هريدى أستاذ اللغويات – جامعة الأزهر.
- قصة الكتابة العربية – إبراهيم جمعة – دار المعارف.
- كتاب التبصرة فى القراءات السبع – مكى القيروانى القرطبى – تحقيق د/ محمد غوث الندوى – نشر الدار السلفية- بومبائى – الهند .
- كتاب اللغات فى القرآن – إسماعيل بن عمرو المغرى – ت/ صلاح الدين المنجد – طبعة الرسالة ١ – القاهرة ١٣٦٥ – ١٩٤٦م.
- كشف ألسنة الناس – للعجلونى – المكتبة الشاملة .
- لغة تميم (دراسة تاريخية وصفية) – تأليف د/ضاحى عبد الباقى – القاهرة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- مجلة الرسالة – العدد الحادى عشر – مقال بعنوان الخليل بن أحمد – طه الراوى.
- مجلة الكتاب السنة السابعة ١٩٥٢م.
- مجلة كلية الأدباء المجلد العاشر ٧١/٢ – عدد ديسمبر ١٩٤٨ – إبراهيم مصطفى.
- محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية – أمين الخولى – معهد الدراسات العربية العالية.
- مختار الصحاح – للرازى – دار الحديث.
- مدرسة البصرة – د/عبد الرحمن السيد – محاضر جلسات مجمع اللغة العربية.
- مدرسة الكوفة.
- مذاهب التفسير الإسلامى – جولدتزيهر – ترجمة عبد الحليم النجار.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل – القاهرة ١٣١٣ هـ.
- مسند الدارمى – على هامش المنتقى – لابن تيمية – دلهى ١٣٣٧هـ.
- مشكلات اللغة العربية – محمود تيمور – مكتبة الآداب – المطبعة النموذجية .

- مصحف صحابة فى القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة - للشيخ/ جمال الدين محمد شرف.
- معانى القرآن للأخفش - تحقيق د/عبد الأمير محمد أمين الورد - عالم الكتب - ط أولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- معانى القرآن للأخفش - تحقيق د/فائز فارس - مطبعة الكويت.
- معانى القرآن للفراء - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٠م .
- معانى القرآن للفراء - تحقيق/ أحمد يوسف نجاتى - محمد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- معانى القرآن وإعرابه للزجاج - تحقيق / د/ عبدالجليل عبده شلبى - وعلى جمال الدين محمد - دار الحديث ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- معجم الأدباء - ياقوت الحموى - ط دار المأمون ومطبعة السعادة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م.
- معجم العين - للخليل بن أحمد الفراهيدى - تحقيق د / إبراهيم السامرائى دار النشر : دار مكتبة الهلال - مكتبة الجامع الكبير .
- معجم القراءات - د / عبد اللطيف الخطيب - دار سعد الدين للطباعة والنشر .
- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية - د/ محمد إبراهيم عبادة - طبعة دار المعارف.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار - للذهبى - المكتبة الشاملة.
- مفاتيح العلوم - للخوارزمى - نشر فان قلوتن - ليدن ١٨٩٥ - مكتبة الجامع الكبير.
- مقاييس اللغة - لأحمد بن فارس - دار الجبل - بيروت - تحقيق د/عبد السلام هارون - ط٢بيروت ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م - الجامع الكبير.
- مقدمة ابن خلدون - المكتبة التجارية - مكة المكرمة.
- مقدمة فى أصول التفسير - لابن تيمية.
- من أسرار اللغة - إبراهيم أنيس - القاهرة - ط٣ - ١٩٦٦م .
- من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلوط - ط١ - ٢.

- منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء - أحمد بن عبد الكريم الأشمونى - ط٢ - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م - مصطفى الحلبى - القاهرة.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين - لابن الجزرى.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون - للتهانوى - تحقيق مجموعة - مكتبة لبنان.
- نحو عربية ميسرة - د/أنيس فريحة - دار الثقافة - بيروت .
- نزهة الألباء - ابن الأنبارى - المكتبة التجارية.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة - ت/السيد محمد الطنطاوى - ط٢ - دار المعارف.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع - للسيوطى - مكتبة الكليات الأزهرية.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان - ط١ - ١٣٦٧ - ١٧٤٨م - مطبعة السعادة.

❁ منشورات مجلة مجملة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

- أصول علوم اللغة - محمد كامل حسين - بحوث (١٩٥٩ - ١٩٦٠).
- الأدب العربى - إبراهيم مدكور - مجلة المجمع ج١٥ .
- الإعراب ظاهرة جمالية - عبد الحميد إبراهيم - مجلة المجمع ج٧.
- الإعجاز البيانى فى كتاب العربية الأكبر - بنت الشاطئ - مجلة المجمع ج٩.
- العامية الفصحى محمود تيمور - مجلة المجمع ج١٣.
- الغرض من قراءات المجمع والاحتجاج لها - أحمد عيسى الإسكندرى مجلة المجمع ج١.
- المجمع واللغة العامة - أحمد حسن الزيات - مجلة المجمع ج٩.
- الوضع اللغوى - أحمد حسن الزيات - مجلة المجمع ج٨.
- بعض الشوائب فى النحو - البحوث والمحاضرات دورة (٣٥).
- دراسات اللغة فى العصر الحديث- سهير القلماوى- مجلة المجمع ج١١.
- فقه الأساليب - محمد رضا الشبيبى - مجلة المجمع ج٩.

- فى أصول اللغة – مصطفى إبراهيم – مجلة المجمع ج٧.
- فى أصول النحو – مصطفى إبراهيم – مجلة المجمع ج٨.
- كتاب الألفاظ والأساليب ج٢ – ١٩٨٥ – من القراءات المجمعية فى الألفاظ والأساليب ١٩٨٩م.
- مجلة المجمع ج١٢.
- مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاما.
- محاضر جلسات مخصصة لدورة (٣٥).
- منطق أرسطو والنحو العربى – إبراهيم مدكور – مجلة المجمع ج٧.
- موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى – محمد فريد – مجلة المجمع ج٦.